الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues

جامـــــعـــة 8 مـــاي 1945 قـــالمـــــــة
كلية الآداب واللغات

الرقم: ..... N° :.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــــــــــــــــر

(تخصص تحليل الخطاب)

عنـــوان المـــــــــذكرة

آليات الحجاج في الخطاب القرآني – سورة هود مثالا –

مقدمة من طرف:

الطالبة: عثماني هاجر

تاريخ المناقشة: .....

الاسم +اللقب	رئيس ا الرتبة	الجامعة
الاسم +اللقب	مقرر ا الرتبة	الجامعة
الاسم +اللقب	ممتحنا الرتبة	الجامعة

السنة: 2015

الفهرس

مقدمة.

المدخل : مصطلحالحجاجالنشأةوالتطور.

- تحديدمفهومالحجاج.
- الدلالةاللغوية.

.2.1الدلالةالاصطلاحية .

.1.2.1علاقةالحجاجبالبرهانوالاستدلال.

علاقةالحجاجبالاقناع.

المسارالتاريخيللحجاج.

الحجاجفيالفكرالغربيقديماوحديثا.

قديما.

عندالسفسطائين.

عندأرسطو.

حديثا.

عندبيرلمانوتيتكاه.

عنداوسكمبيروديكرو.

عندميشالمابير.

الحجاجفيالفكرالعربيقديماوحديثا.

قديما.

عندالجاحظ.

عندأبيهلالالعسكري.

عندابنوهب.

حديثا.

عندطهعبدالرحمن.

الحجاجالتجريدي.

الحجاجالحجاجالتوجيهي.

الحجاجالتقويمي.

عندأبيبكرالعزاوي.

عندحمادصمودي.

الفصلالأول : ضوابطالخطابالحجاجيوخصائصهواشكالهوألياته.

الضوابط.

الخصائص.

البناءوالدينامية.

التفاعل.

الالتباسأواللبس.

التأويل.

الاعتقاد.

الانتهاضإلىالعمل.

الخصائصالأسلوبية.

الخصائصالحوارية.

التشخيص.

المقام.

العلاقاتالحجاجيةوأشكالالحجاج.

العلاقاتالحجاجية.

علاقةالتتابع.

علاقةالاقتضاء.

علاقةالاستنتاج.

علاقةعدمالاتفاقأوالتناقض.

أشكالالحجاج.

الحجاجالمغالطي.

الحجاجبالسلطة.

الحجاجبالمثل.

الحجاجبالتجهيلوالمغالطةالمعرفية.

الحجاجبالقوة.

اليات الحجاج

الأليات اللغوية

الفاظ التعليل

خطة البحث :

مقدمة.

مدخل : مصطلح الحجاج النشأة و التطور.

1. تحديد مفهوم الحجاج.
2.1. الدلالة اللغوية.

2.2. الدلالة الاصطلاحية.

4. المسار التاريخي للحجاج.

1.4. في الفكر الغربي قديما وحديثا.

2.4. في الفكر العربي قديما وحديثا.

الفصل الأول : ضوابط الخطاب الحجاجي خصائصه أشكاله وآلياته.

1. الضوابط.

2. الخصائص.

3. العلاقات الحجاجية وأشكال الحجاج.

1.3. العلاقات الحجاجية.

2.3. أشكال الحجاج.

4. آليات الحجاج.

1.4. الأدوات اللغوية.

2.4.الأليات البلاغية.

3.4.الأليات شبه المنطقية.

الفصل الثاني :آليات الحجاج في سورة هود.

1. التعريف بالسورة.

2. الأدوات اللغوية.

2. الأليات البلاغية.

3. الأليات شبه منطقية.

خاتمة.

مقدمة:

أضحت الدراسات الحجاجية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين حقلا مستقلا تجلى في الأبحاث المتواترة التي اشتغل على بناءها مجموعة من الباحثين منذ الخمسينيات، ومصدر هذا التطور هو الإشتغال المتعدد على الحجاج من قبل الفلاسفة والمناطقة، وكذلك من رواد تحليل الخطاب ورواد الاتجاه التخاطبي والتواصلي، فأصبحنا أمام معرفة متشبعة تغطي مجالات النشاط الإنساني كله.

وقد عد الحجاج فعالية خطابية وممارسة فكرية يعتمدها المتكلم للتأثير على المتلقي بغية إقناعه أو تغيير معتقده أو سلوكه مرتكزا في ذلك على آليات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، وبما أن الخطاب القرآني يرمي من هذه الوجهة إلى تثبيت دعوته وإقناع الناس يتخلى عن معتقداتهم، والإيمان بالعقيدة الجديدة بدت ضرورة ملحة لإعطاء هذا الخطاب عناية أكبر، باعتباره جنسا خطابيا يختلف عن بقية الخطابات الأخرى بناء ومقاما، خاصة في جانبه الإقناعي والحجاجي حتى نستبين صحة منطقه وعمق بلاغته، وذلك بالاعتماد على آليات

حجاجيةنرمز من خلالها تسليط الضوء على سورة من سوره، فجاء عنوان الدراسة: **"آليات الحجاج في الخطاب القرآني – سورة هود – مثالا"**، لما اشتملت عليه هذه السورة من وسائل وتقنيات حجاجية،خاصة فيما يتعلقبحجاج الأنبياء مع أقوامهم، كما أني أردت لهذا البحث أن يكون إضافة وتثمينا لما سبقه من الدراسات والبحوث الداعية إلى دراسة الحجاج في الخطاب القرآني ومن أبرزها: "كتاب عبد الله صولة، الموسوم بالحجاج في القرآن الكريم"، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية وعلى الرغم من الدراسات المتنوعة في مجال الحجاج في مجتمعنا المعاصر، إلا أنها ما زالت في التخصصات النادرة التي لم تحض بالرعاية المطلوبة في الثقافة العربية إما جهلا بأهميتها أو تهميشا لها لأنها عربية المنشأ والمقام.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

* أهمية موضوع الحجاج كونه موظفا في جميع أنواع الخطاب.

* الرغبة في التعرف على أهم مفاهيم الدرس الحجاجي وما يتميز به من ضوابط وخصائص تجعله فريدا من نوعه.

* التعرف على أهم الآليات الحجاجية عامة وفي سورة هود - عليه السلام - خاصة لتوفرها على آليات حجاجية مختلفة تصلح للدراسة.

* وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لهذا النوع من البحوث، من حيث وصف الظواهر الحجاجية وتحليلها، وفق آليات النظرية الحجاجية كما كان لابد من الاستعانة بالمنهج التاريخي في رصد نمو فكرة الحجاج وبروز معالمه ونشأة النظريات الدارسة له.

* وعليه جاءت الدراسة في مدخل وفصلين نظري وتطبيقي مشين بمقدمة ومذيلين بخاتمة.

خصص المدخل لإستجلاء بعض المفاهيم الأساسية للحجاج، فبينا فيه علاقة الحجاج بمجاله المفهومي وحدود تداخله مع مصطلحات أخرى كالبرهان والاستدلال والإقناع، كما تتبعنا فيه ملامح النظرية الحجاجية للدراسات العربية

والغربية وذلك من خلال سيرورة المصطلح قديما وحديثا.

أما الفصل الأول فقد جمعت فيه بين عناصر شتى حاولنا من خلالها التطرق إلى ضوابط النص الحجاجي وخصائصه التي تميزه عن غيره من النصوص الأخرى، ثم تتبعنا أشكال الحجاج وعلاقاته وآلياته التي يهدف من خلالها إلى تحقيق الإقناع والتأشير.

في حين عنونت الفصل الثاني التطبيقي بآليات الحجاج في سورة هود – عليه السلام – ففتحته بتمهيد كان لابد فيه من التعريف بمدونة البحث ثم تعرضنا إلى دراسة الأدوات اللغوية للحجاج المتوافرة في السورة وما تحققه من وظيفة حجاجية، ثم الآليات البلاغية والشبه منطقية ومن بينها الروابط والعوامل الحجاجية وما تقدمه من طاقة إقناعيه عند إنتاج الخطاب القرآني.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: "كتاب الحجاج، ومفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة للدكتور حافظ إسماعيل علوي" و "كتاب اللسان والميزان لطه عبد الرحمان" و

"كتاب إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية" و "كتاب عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية" بالإضافة إلى كتب أخرى إستعنا بها لتفسير آيات القرآن، مثل كتاب صفوة التفاسير لصابوني، والتحرير والتنوير لطاهر بن عاشور، إضافة إلى مجموعة من المقالات والأبحاث ورسائل الماجستير ومن المعوقات والصعوبات التي واجهتنا - شأن كل باحث - نذكر منها:

* قلة المراجع المتخصصة وذلك لحداثة الدرس الحجاجي.

* تداخل مصطلح الحجاج مع غيره من المصطلحات التي اعتبرها الدارسون مرادفا له.

* انفتاح موضوع الحجاج على عدة مجالات ومعارف أخرى، كالإعلامالفلسفة والسياسة.

* صعوبة دراسة النص القرآني العظيم المطلق ببيانه وإعجازه وبناءه مما، مما حدى بي إلى التساءل أنا لفهم القاصر وإدراك النسبي أن يحبط بأفقي القرآني الواسع؟، فكنت في تفسير الآيات أحاول الوصول إلى أحسن الفهم وأوفقه وذلك بالرجوع إلى التفاسير القرآنية.

* عدم توفر الوقت الكافي لإعطاء الموضوع حقه من الدراسة باعتباره موضوعا واسعا ومتفتحا على مجالات مختلفة ويعود الفضل في إنجاز هذا البحث إلى أستاذي المشرف الذي يسر كل ما تعسر بملاحظاته وتوجيهاته السديدة فكان وراء كل كلمة صائبة في هذه الدراسة، فله مني كل الامتنان والشكر، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أعترف وأجزل الشكر والتقدير إلى أساتذتي الكرام وكل من أعانني ماديا أو معنويا في مراحل إنجاز هذا البحث حتى استوى على سوقه، وآمل أنني حققت فيه ما كنت أصبوا إليه، وأتمنى أن يكون فيه بعض من النفع والإفادة والإضافة الجديدة إلى ميدان الدراسات الحجاجية المعاصرة وأدعوا الله العلي القدير أن ينفعني بتوجيهاتي الأساتذة الكرام الذين شرفوني بمناقشة موضوع مذكرتي وتصويب فكرتها وتسديد منهج، فللجميع مني الشكر والتقدير، ومن الله السداد والتوفيق.

1 -تحديد مفهوم الحجاج:

2 - «يعد مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس بالنسبة للباحث عن ضبطه وتدقيقه[1] »،ويعود ذلك إلى تعدد استعمالاته و أشكال توظيفه، وتباين مرجعياته وتبعا لذلك فقد تعددت التعاريف المقترحة لهذا المفهوم بتعدد الخلفيات الفكرية والمرجعية لأصحابها، إذ تتباين معاني هذا المفهوم من مرجعية إلى أخرى، وبذلك يظل تعدد معاني هذا المفهوم تابعا تبعية عضوية وإستعمالية لمجالات وأفعال تتطلبه وتستدعيه[2].

1 - 1- الدلالة اللغوية:

تكاد تجمع المعاجم اللغوية الأساسية في تعريفها للحجاج على ماجاء في لسان العرب لابن منظور:**«يقال حَاجَجْتُهُأُحَاجُهُحجَاجًا ومُحَاجَةً حَتى حَجَجْتُهُأي غلبته بالحجج التي أدليت بها...،والحُجَةُ:البرهان وقيل الحجة ما دفع به الخصم،وقال الأزهري:الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة،وهو رجل محْجَاجٌأي جَدلٌ،وحَجَهُيَحُجُهُحَجًا:غلبه على حُجَته،وفي الحديث:"فحج آدم موسى** ،أي **غلبه بالحجة»**[3].

إن ابن منظور يجعل الحجاج مرادفا للجدل صراحة في قوله :هو رجل محجاج أي جدل كما يربط الحجاج بالخصومة ،وهذا ما دلت عليه كلمة "غلبته" وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحجة والبرهانعلى صحة ما يدعي،ومادام هناك خصومة، فالجدال هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي،فيكون الحجاج مرادفا للجدل. لكن فرقا دقيقا تنبه إليه **ابنعاشور**في كتابه**"التحرير والتنوير" «فعنده معنى حاج خاصم،والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام،والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك»**[4].

---

[1]- حبيب أعراب ،الحجاج والاستدلال الحجاجي،ضمن عالمالفكر،ع1،المجلد،بوبيوز،تشينز2001م،ص97

[2]- ينظر: المرجع نفسه،ص99

[3]- ابن منظور،لسانالعرب،مادة(ح.ج.ج)دار صادر،لبنان بيروت،ط1، مجلد 2،1990،ص228.

[4]- محمدالطاهر بن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،دار سحنون للنشر،تونس، د/ط، ص194.

إن الجامع بين اللفظتين (الحجاجوالجدل)هو المخاصمة لكنها فيالحجاج كما يرى **"ابن عاشور"** قائمة على الباطل معتمدا على قوله تعالى: **«**أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَاجَّ إِبراهيم فِي رَبِه أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ**»**.[258/2].

في حين الجدل منه ماهو حق كقوله تعالى:**«**وجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنْ**»**،[125/27]ومنه ما هو باطل كما في قوله تعالى:**«**وَلَا تُجَادِلْ عَنْ الذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَ اللهَ لَا يُحِبُ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا**»**.[107/4]

1-2- الدلالة الاصطلاحية:

إن معظم التعاريف الاصطلاحية للحجاج تجمع على أن الحجاج عبارةعن علاقة تخاطبيه بين متكلم ومستمع حول قضية ما،متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير، ومستمعله له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع، ولتحديد هذا المفهوم بدقة ينبغي مقارنته بمجموعة من المفاهيم التي طالما اعتبرها عدد من الدارسين، مرادفات له ومن بين هذه المفاهيم(البرهان، الاستدلال، الجدل، الإقناع...).

1-2-1-علاقة الحجاج بالبرهان والاستدلال:

عادة ما يتم الخلط بين هذين المفهومين (ما هي حجتك،ما براهينك)،لكن هناك من فرق بينهما،**«فالبرهان ينتمي في الأصل إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضيةبينما ينتمي الحجاج إلى مجال الخطاب الطبيعي»**[1].

ومنه يتجلى الفرق بين الحجاج والبرهان، باعتبار أن البرهان مجاله ينطلق من اتساقات صحيحة وبديهية، أما الحجاج فيرتبط بما هو متعدد الدلالة، أي الجدير بالظن المعقول والمقبول،كما يوجد تمييزا جوهريا وأساسيا بين البرهان والحجاج ويتمثل في أن **«الحجاج يقتضي تفاعل الذوات في حين تنفي البرهنة الذات لأنها بعيدة كل البعد عن**

[1]- حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، اربد الاردن، ط/1، 2010، ج1، ص185.

جميع تلثيرات اللغة والعواطف، وعن المكان والزمان المستعمل فيهما وعن دور المستمع والخطيب»[1].

وقد يحمل الحجاج معنى البرهان، إلاأن مفهومه لا يبتعد كثيرا عن معنى الحجاج المقترن بالاستدلال،باعتبار البرهان والاستدلال عمليتان منطقيتان تعتمدان في الأصل على الحسابوالاستنتاج.[2] إلا أن كلمة الحجاج**«بحكم صيغتها الصرفية الدالة على معنى المشاركةفي تقديم الحجج،وعلى مقابلة الحجة بالحجة،مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهوما مهما جدا...وهو مفهوم المناقشة والحوار»**[3].

كما يطلق على الحجة، أسماء أخرى مثل:**«الدليل والاستدلال وحتى البرهان لكن هذا الإطلاق منباب التجوز والتوسع»**[4]

وبناءا على ما سبق نلاحظ أن أغلب الدراسات و البحوث التي لها صلة بموضوع الحجاج كانت تميزه عن البرهان ،وتبين التعارض القائم بينهما ،فمجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع وهو لصيق دومابالخطاب واللغات الطبيعية، أما البرهان فمجاله المنطق واللغات الاصطناعية الرمزية بشكل عام ،والمصطلح الجامع الذي يجمع بينهما هو الاستدلالفكل حجاج استدلال وليس كل استدلال حجاج ،وكذلك كل برهنة ،أواستنباطأو قياس تعتبر استدلالا والعكس غير صحيح[5].

فيرتبط الاستدلال بالحجاج من حيث أنه يمثل**«سياقه العقلي اي تطوره المنطقي،ذلك إن النص الحجاجي نصقائم علي البرهنة فيكون بناءه على نظام معين تترابط فيه العناصروفق نسق تفاعليوتهدف إلي غايةمشتركة،ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس،فإذاأعدنا النص الحجاجي إليأبسط صوره وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية،ترتيبا يستجيب لنية الإقناع»**[6].

---

[1]- la bellenger l’argumentation,prinapes et methodes : نقلا عن الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام ،سعدية لكحل،جامعة مولود معمري،كليةالآداب واللغات ،ص10

[2]- طه عبد الرحمن،في اصول الحوار و تجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، ط/2، ص62

[3]- عبدالله صولة،الحجاج في القران الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية.تونس،ط/.2001.1.م.ص13

[4]- طه عبدالرحمن،اللسانوالميزان أوالتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.ط/1، 1998م.ص225.

[5]- ينظر: عبدالله صولة،الحجاج في القران الكريم منخلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص15.

[6]- سامية الدريدي،الحجاج في الشعر العربي القديم،ص27

3-2-1 علاقة الحجاج بالإقناع:«غاية المتكلم الحجاج والإبداع يأتي في درجة ثانية...والإقناع بماهوpersuasionإنما هو الوجه الغائم للحجاج و مرادفه الأخر،عبر مقولة المواضع المنطقية ،وقد حاول العديد من الدارسين وضع الفروق بينهما ،أي بين الإقناع والحجاج وذلك أنالإقناع هو مابه يحاول الإنسانإقناع نفسه،في حين أن الحجاج هو ما به يحاول إقناع الأخر،وذلك بوسائط متنافرة،منها ما يعود للغة وما توفره من بنى وأساليب ومفردات، وتركيب وروابط مؤثرة حجاجيا»[1]ومن هذا يطغى الحجاج الذي صورته الإقناع في كل موضع ويمكن فصل الحجاج والإقناع بالنظر إلى الحجج المعتمدة ذلك**« لأن الحجاج عملية اتصالية ،تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناعالآخرين»**[2]إضافة إلى وظيفة التأثير في هذه الحجج .

وبالنظر إلى طبيعة المتلقي ،فإن كان المتكلم يخبرهبكلام جديد فهو يقنع،أما إن كان المتلقي رافض أو منكر للكلام، فيتحول الخطاب من إقناعي إلى حجاجي،لأن المتلقي متى سلم بالمقدمات التي قدمها المتكلم فهومقتنع من طرفه ومتي ردها أو رفضهافهومحاججقد يعيق المتكلم من بلوغ هدفه[3]

ويتوقف الإقناع على التأثيرات التي يحدثها الكلام بفعل المتكلم سواء تعلق الامر با الفتنة أو الانفعال،أو إحداث مجرد تقدم،وهويتم من هذا الوجه عنذكاء صاحبه ،ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدراته وآفاقه.

لذلك نراه يعلن أمرا ويذكر أخر، يختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى يسأل ويجيب،بل قد يأتي بالفكرة الواحدة علىأنحاء مختلفة فيتجلى في خطابه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.

ولأحداثأثرمافي المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة.وهومايعبر عنه اللسانييننبالوظيفة الإيحائية،Conativeللكلام،وهووضعلإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينةعن طريق

---

[1]- عزالدين الناجح، المفهوم من خلال الملفوظ الاشهاري الخطاب،دورة أكاديمية جامعة تيزي وزو،العدد02. مايو،2007م ،ص271.

[2]- جميل عبد الحميد،البلاغة والاتصال، دارغريب للطباعة والنشر،القاهر.20،ص 105.

[3]- ينظر :عباسحشاني.خطاب الحجاج والتداولية،عالم الكتب الحديث.اربد،الأردن.ط 1 ،2014،ص76.

تقنيات مخصوصة، ويظهر ذالك أكثر في الخطاب ألإشهاري .حيث يحاول الإشهار بمنتوج معين إقناع المتفرج واستمالته كزبون[1].

ويشترطفي الإقناع البينة التي تكون«**فيه بمنزل الدليل الذي بلغ درجةالوضوح يصير معها المتوسل به قادرا علي الظهور علي خصمه، كما لو كان هذا الدليل الظاهر مستغنيا بظهوره عن جانب الاستدلال فيه»[2].**

وهذا بتداخل الاستدلال والإقناع،لأن الدليل الذي هو جزء من عملية الاستدلال يوصف بأنه مقنع أو غير ذلك.وعلى العموم فإن البرهان والاستدلال والإقناع هي مصطلحات تمثل وجوه الحجاج من جهة وتعرف سمات الخطاب الحجاجي بهم من جهة أخرى بالنظر إلى المتكلم اهو يستدل أو يبرهن،أمأنه يقنع؟.

[1]- ينظر:ساميةالدريدي الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص،.27.2.

[2]. طه عبد الرحمن.اللسانوالميزان.اوالتكرثر العقلي ،ص36.

2 - المسار التاريخي للحجاج:

2-1-الحجاج في الفكر الغربي: 2-1-1 قديما :

1-1-1-2- الحجاج عند السفسطائين:

السفسطائية حركة«**برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية وبالخبرة الجدلية، ويتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي تعني الحكيم الخبير بكل وأسلوب**»[1].والجدير بالذكر أن وجود هذه الحركة أدى إلىتطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة والحياة الفكرية عامة، فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي توليدي للأفكار، الأمر الذي أسفر عن اهتمامبالغبالطرائقالحجاجيةالإقناعية[2].

وما يثبت حجاجية هذه الحركة هو اهتمامهم«**ببنية كل من الكلمة والجملة، وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع، وتغييرمواقف الآخرين، وقد استعانوا في سبل تلك الغاية بخبرة بالغة في مقامات الناسوالقول معا، وأيضا بالياتإجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية، كما اهتموا ببلاغة القول ومتعلقاتها**»[3].

وما يثبت ذلك – أيضا - هو أن السفسطائين عمدوا في«**ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة النفعية المتعلقة باللذة أي الهوى وهذا محل نقد أفلاطون لأصحاب هذه الحركة بأنهمأدعياء على العلم والمعرفة وأن ما يقدمونه لا يعدوكونه نتائج ظنية مبحثها الهوى واللذة**»[4].

ويصف السفسطائيون الخطابة بـ: "الصانعة للإقناع" فهم يحتجون لإقناع السامع بما "يخالف المشهور" وهذا تصور للخطابة من جهة المعنى والهدف، كما أنهم لم يغفلوا عن مراعاة الشكل.

ولهذا نجد الحجاج عند السفسطائين يقوم على الاختلاف، و يهدف إلى تحقيق الاستمالة، وبذلك يتحقق الفعل التأثيري على مستوى ذهن المتلقي وسلوكه، إذ «**الأفكار**

---

[1]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2008م، ص24.

[2]- المرجع نفسه ص24.

[3]- المرجع نفسه ص25.

[4]- المرجع نفسه ص27.

التي أتى بها السفسطائيون" "النفعية"و"اللذة" أفضت بهم إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار، وذلكبتوظيف سلطة القول، وفكرتي التوجيه والتوظيف، وهذه محطات سيكون لها دور بنائي في معظم البحوث الحجاجية»[1].

ومن أبرز إستراتيجيات الإقناع والآليات الحجاجية لدى السفسطائينالطرائق والخطط التي يتبعونها في حجاجهم، ويمكن الكشف عنها من خلال النقد الذي قدمه "أرسطو" لهم فقد كان نقده منصب على إنتاج الحجاج عندهم وما يتعلق به من آلياتهم وأهدافهم من الحجاج، فذكر أن لحجاجهم خمسة أهداف: التبكيت*، والإيقاع في الخطأ، والدفع إلى مخالفة المشهور، واستعمال صيغ غير لغوية، غير مألوفة وأخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ، وذلك يجعله يكرر كلامه عدة مرات[3].

ونستخلص من خلال هذه الأفكار أن الحركة السفسطائية حركة حجاجية جسدت الحجاج وما يتعلق به من أبحاث فلسفية ومنطقية، حيث أصبحت تعرف باسم خاص ينسب إلى طريقتها في الكلام والخطاب، وهو الحجاج السفسطائي.

2-1-1-2 الحجاج عند أرسطو:

تعتبر جهود أرسطو سباقة في فهم مصطلح الحجاج فهو المرجع الأساسي لمن جاء بعده شرقا وغربا،تناول أرسطو الحجاج من زاويتين متقابلتين، من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه "أرسطو " لمفهوم الخطاب إذ يبنيه انطلاقا من أنواع الحضور ومن الرغبة في الإقناع

---

[1]- ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص26

*التبكيت: إحداث التأثير ودفع السامع إلى العمل بعد محاصرته بيانيا.

[3]- ينظر، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص34

ويحدده في ثلاث أنواع:«النوع الاستشاري، النوع القضائي والنوع القيمي»[1]ونعرضها كما يلي:[2]

- **الخطابة الاستشارية** :«ومجالها مؤسسة الجمعية العامة حيث تتقرر مشاريع تدبير الدولة و حيث يمارس الشعب حق الانتخاب والترشيح والتوجيه والتصويت.»

- **الخطابة القضائية** :«ترتبط بالمؤسسات القضائية حيث تتم محاكمة الجناة من مسؤولي الدولة ومرتكبي الجرائم الوطنية.»

-**النوع القيمي او الخطابة الاحتفالية** :«مجالها التجمع الشعبي الجماهيري حيث يتم أللاحتفال بالمناسبات والإبطال القوميين» .

وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج :

(الإيتوس.الباتوس.اللوغوس)في علاقتها بالأفعال اللغوية الثلاث للفعل الخطابي الخطيب .المستمع .الخطاب.**-الايتوس** : ويقتضي هذا المقوم أن يكون الخطيب موضع قبول عاطفي لدى المتلقي خلال بث الخطاب وتلقيه .إن الخطيب هنا يصبح مقنعا لا بسبب أفكاره ومنطقه بل بسبب الثقة التي يخلفها لديه الجمهور نتيجة تملكه خاصية الخطابة وفنون الاستدراج الفعالة وقد حصر "أرسطو" ذلك في كون الخطيب سديدا وفاضلا وبارا...[3]

ويحتل **الإيتوس** مكانة هامة في الخطابة الاستشارية فكم من سياسي ناجح جدا لا بسبب برامجه الفعالة وقدراته الأخلاقيةوإنما ناجح لمجرد الرضا الذي يضفيه عليه الجمهور.

- **الباتوس :** يقول :**"ميشيل مايير "**«الباتوس ما ينزع إليه هذا الشخص أو ذاك نزوعا فطريا .أي على سبيل الاستعداد الطبيعي إنه ما يميل إليه ويبتغيه»[4]وهي تمثل مفهوما أساسيا في الإقناع الخطابي .وتبرز أهمية هذا المستوى في الجنس القضائي .ففي حال محاكمة مجرم لا يكفي تأكيد التهمة بل إن هناك عواطف من الضروري إضافتها وتتعلق في هذه الحالة بإثارة السخط على المجرم و في المقابل إثارة العطف والرأفةإزاء الضحية.

---

1 - ينظر : محمد طروس النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ،دار الثقافة ، المغرب،ط1،2005م،ص15.

2-عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ،عالم الكتب الحديث ،إربد ،الأردن ، ط1،2012م، ص20 .

3- ينظر المرجع نفسه ،ص20.

4 - michel meyer , intoroduction in aristote , rhétorique ،نقلا عن عبد الجليل العشراوي ،الحجاج في الخطابة النبوية ،ص25.

- **اللوغوس** "الرسالة أو الخطبة" :«**ويمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي .فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي**»[1].

والأهم من ذلك الاختلاف الدقيق الذي أقامه"أرسطو" بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي إذ رأى«**أن الأولأوسع من الثاني فهو يمارس في فحص قضايا الفكر وفحص جوانب من الأحكام المتعلقة بالسلوك .كما يمارس في توجيه الفعل وإن كانت ممارسة أدخل في البحث الفكري .أما الثاني فمجاله هو توجيه الفعل وتثبت الاعتقاد أو صنعه**»[2].

ومنبع الحجاج الجدلي هو التساؤل والخلاف والخبرة حول قضية أو جملة قضايا والسمة التي تميز الحجاج الجدلي هي السمة الفردية .وبالتالي يكون الحجاج الجدلي هو الذي يدور في أوساط المتخصصين والاستدلال الموجه فيه يتوجه إلى سامع كوني .وبالتالي فهذا الحجاج لا يستغل الأخلاق والطبائع والانفعالات في كسب الاقتناع من محاوره.[3]

أما الحجاج الخطابي .فمجاله توجيه الفعل والتوجيه إليه وخلق الاعتقاد. ولئن كان الحجاج الجدلي سمته الفردية فالحجاج الخطابي يميزه السمة الجماعية وما يميز أيضا الحجاج الخطابي هو هدفه الذي يتمثل في بناء حكم وتوجيه الفعل ويصاغ هذا الحجاج الخطابي لجمهور معين يعرف الخطيب مسبقا خصائصه الكبرى وبالتالي يتوجه إليه باستدلالات اقناعية محددة يسعى من ورائها لدفعهم إلى الفعل.[4]

ومن هنا يمكن القول أن البلاغة الحجاجية، قد اتضحت معالمها مع أرسطو من خلال مؤلفه المعروف بـ"فن الخطابة" حيث رفض العديد من المغالطات و الأساليب السفسطائية، ودعا إلى بلاغة يكون مركزها الحجاج، وتكون العناية فيها بمختلف أطراف العملية التواصلية، وذلك لأنه لم ينظر إلى الحجاج بطريقة اختزالية، وإنما بطريقة تفاعلية مع مختلف فروع المعرفة الإنسانية وهذا ما دفع **"بيرلمان"** إلى نعته بـ"أب الحجاج" اعترافا منه بفضله ومكانته في الدرس البلاغي الحجاجي.

2-1-2 حديثا:

1-2-1-2 الحجاج عند بيرلمان و تيتكاه:

الخطابة (البلاغة) الجديدة هو العنوان الفرعي الذي اختاره**"بيرلمان"و"تيتكا"**، لكتابهما مصنف في الحجاج، الصادر سنة1858، ويعتمد هذا الكتاب على محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع، وتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد، وامتداداته،إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر[1].

والواضح أن هذا المنطق يرمي إلى الوظيفة التواصلية للغة، ذات العلاقة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية، كون الخطاب ألبرهانييهتم بدوره بالأشكال البلاغية، كأدوات أسلوبية، ووسائل للإقناع والبرهان، ثم يصور بلاغة البرهان لديه، بتوضيحه لنظرية المحاجة التي يرى أنها «**لا يمكن أن تنمو إذ تصورنا أن الدليل البرهاني، إنما هو مجرد صيغة مبسطة بديهية، ولذلك فإن هدف نظرية البرهان "Argumentation"لديه هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته** »[2]، وهو يوجه نظريته إلى العناية بالنصوص المكتوبة في المقام الأول، مغفلا دراسة طرق الأداء وتقنيات الحركة والإشارة (تقنيات الخطب الجماهيرية)التي تخص جهات أخرى[3].

- **ملامح الحجاج وآلياته عند بيرلمان:** يتميز الحجاج في تصور بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية هي:

1 -أن يتوجه إلى مستمع.

2 -أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

3 -مسلماته لاتغدو أن تكون احتمالية.

4 -لا يفتقر تقدمه –تناميه- إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5 -ليست نتائجه ملزمة.[4]

فهو إذن عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب، ومن ثم فالحجاج عرضة

---

[1]- بنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع 164، أغسطس آب، 1992، ص73.

[2]- المرجع نفسه ص74.

[3]- المرجع نفسه ص76.

[4]-حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الثاني، ص182

للتغيير والتحوير في بنائه وأنساقه التي يقوم عليها وذلك تبعا لتغيير المقام وتغيير ظروف المحاجج حتى وإن ظل موضوع النقاش هو ذاته.

إنمجال الحجاج في نظر **" بيرلمان "** يتعلق أساسا «**بالبحث في المماثل والمعقول والمحتمل، وذلك في حال ما إذا كان هذا الأخير يفلت من كل الحسابات الحتمية**»[1] أو على الأصح من كل ما منشأنه الإكراه ومصادرة الحرية في الاختيار.

لذا فإن إقامة نظرية فلسفية للحجاج مرتهنة بكون المواضيع المطروقة والمدروسة غير بديهية أي يتطلب إقامة الدليل عليها جهدا عقليا ومن ناحية ثانية على المعني بهذا الحجاج أن يكون مؤهلا لإستعاب هذا الطرح، ثم تنميته لأن السامع المخاطب هو السبب الفعلي الذي لولاه لما كان حجاج أصلا، فهو يسهم بصفة فعلية في تشكيل المعالم الكبرى للمادة الحجاجية المقدمة من قبل الخطيب (أوأي متكلم يحمل رسالة يتوقف تحقيقها على الآخرين)،وتعد هذه النقطة بالذات من بين النقاط الجوهرية التي لفتت البلاغة المعاصرة إليها النظر.[2]

فالاهتمام بالسامع (المعني بالخطاب)في البلاعتين الكلاسيكية والمعاصرة قد لفت مناهج النقد المعاصرة، إلى ضرورة الاهتمام بدور **"القارئ"**، في إعادة إنتاج الخطاب، مما جعله لاحقا محور النظرية النقدية المعاصرة وتبقى أهم سمة وسمت خطابة (بلاغة) **"بيرلمان"** هي التركيز على المتلقي الذي لم يعد سلبيا، بل أصبح متلقيا فاعلا، لم يعد كما كان الحال في الخطابة القديمة، يقتصر دوره على التلقي، وإنما أصبح متلقيا إيجابيا، يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم لينتقل بذلك، من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، فالطرفان يتبادلان فيما بينهما المواقع، ومن جهة ثانية فإن المتلقي في الخطابة القديمة بحكم سلبيته، كان في درجة أدنى من درجة الخطيب [...] أما المتلقي في الخطابة الجديدة فهو بحكم إيجابيته، يقف في درجة موازية لدرجة المرسل، ومن ثم يتلقى الخطبة من مقابل مواز فالعلاقة بينهما أفقية "[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص183

[2]- المرجع نفسه، ص183

[3]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص10.

وباختصار شديد فإن الغلبة أو الاقتناع في الخطابة (البلاغة) الجديدة لا يتأتى لمن يمتلك فقط سحر البلاغة، الخطابة، بل لمن يمتلك إلى جانب ذلك فن الجدال و قوة الإقناع والتأثير وسلطة الحجاج.

1-2-1-2 الحجاج عند أوسكمبيروديكرو:

إن الحديث عن الحجاج في اللغة يقتضي منا التوقف عند مؤلفات**"ديكرو"**، لاسيما كتابه**"الحجاج في اللغة "**،الذي شاركه في تأليفه **"جان كلود أنسكمبير"**، وفيه يعرفان الحجاج من حيث بنيته في اللغة ذاتها، بأنه«**تقديم المتكلم قولا (ق1) (أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) (أو مجموعة أقوال آخرى)**»[1]، على أن هذا القول (1) يمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور القول (2) ويكون هذا الأخير قولا صريحا أو ضمنيا ومن ثم يعد الحجاج، إنجاز لعملين هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية ،وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرح بها أو ضمني[2].

وعلى هذا النحو ينزل الحجاج عند **"ديكرو"** وأتباعه في صميم المدرسة البرغماتية التي عرف روادها «بأنهم ينكبون على الأشكال الدلالية مقابل إنكبابالبنيويين، والنحاة التوليديين على الأشكال الدالة ويعتبرون المقام اللغوي في مقابل اهتمام الدراسات السابقة بالنظام اللغوي وينظرون في القول، بعد أن كان النظر اللغوي، يبحث عن الجهاز المختفي وراء القول ويتساءلون في علاقة اللغة بالكلام، وجدوى التفريق بينهما بعد أن كان اللغويون جازمين في إبعادهم إنجاز الكلام عن الدراسة العلمية[3].

كما أنه من المهم الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية **" ديكرو"**الحجاجيةوهو التوجيه l'orientation إذ أعتبر أن غاية الخطاب ألحجاجي تتمثل في **«أن تفرضعلى المخاطب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيها»[4].**وعلى هذا النحو أقر**"ديكرو"** بسلطة الخطاب الحجاجي فهو في نظره خطاب يسد المنافذ، على أي حجاج مضاد فيحرص على توجيه المتلقي إلى

---

[1]- محسن بن عامر، البعد الحجاجي في مرزيان نامة لابن عرشاه، الباب الثالث، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد10،11، جانفي، جوان، 2012م، ص291.

[2]- المرجع نفسه، ص 291، 292.

[3]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص23.

[4]- المرجع السابق، ص23.

وجهة واحدة دون سواها، وبذلك تنتهي إلى ميزتين أساسيتين تميزان رؤية **"ديكرو"**الحجاجية، هما التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية، وإبراز سمة الخطاب التوجيهية.

2-1-2-1 الحجاج عند ميشال مايير:

إن**" مايير"** في دراسته للبلاغة والحجاج ينطلق من جدلية اللغة والمعنى، فالحجاج في نظره مرتبطا ارتباطا وثيقا بالكلام، وخاصة منه الحوار، وما يحويه ويثيره من تساؤلات جدلية تدفع إلى الحجاج دفعا.وهو في تأكيده على هذا، البعد الحجاجي الراسخ في اللغة يعرف الحجاج بقوله «**هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه**»[1].وعلى ضوء هذا التعريف نستخلص أن ظاهر الكلام هو الجواب و ضمنيه هو السؤال، وفي كلمة واحدة نقول أن الحجاج عند **"مايير"** ينبني على إثارةالأسئلة، لذا يمكن القول أن منطلقه في نظريته هذه هو منطلق لغوي بلاغي، يتوازى مع خلفيته الفلسفية، فالخطاب عنده «**إفصاح بلاغي بواسطة الكلام، والكلام ليس سوى الوجه الآخر للفكر والعقل**»[2].

إن انفتاح تصورات **"مايير"** على الفلسفة واللغة ونظرية المعنى أساسا وانطلاقه في البدء من أفكار نظرية **"بيرلمان"**، كل ذلك جعل تصورات **"مايير"**، ذات أبعاد ثلاثة:

- تداولية (من حيث بحثها في ظروف إنجاز الخطاب وآلياته).
- تأويلية (من حيث علاقة السؤال بالجواب، وما يتطلبه من تأويل لمكونات كل منهما، وروافده المغذية له).
- بلاغية (من حيث ربطه إياه بالحجج وفتحه لهذا الأخير على مختلف وسائل الاتصال الكائنة اليوم وكذا الممكنة)[3] ،وهذا الموقع الجيد **"لمايير"** جعله خير حلقة وصل بين مدرسة الحجاج الجديدة **(بيرلمان)**والمدرسة التداولية بفروعها المختلفة.

2-2-الحجاج في الفكر العربي:

2-1-1 قديما:

---

[1]- عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص37.
[2]- محمد سالم، محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، ، ص134.
[3]- المرجع ، السابق ،138.

12-الحجاج عند الجاحظ:

إن دراسة الحجاج عند الجاحظ ارتبطت بدراسة للبيان الذي اهتم فيه بالفهم والإفهام، وبذلك مفهوم البيان عنده يتلخص في المعرفة والإقناع كمفهومين ووظيفتين في آن معا، «**البيان معرفة الوظيفة الإفهامية ،البيان إقناع: الوظيفة الإقناعية**»[1].

ومن العناصر الحجاجية التي اهتم بها الجاحظ نذكر مقتضيات المقام وما تشمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللغوية وهيئته وصفاته الخلقية وما يحسن عليه وما يقبح، فالجاحظ دائم الإلحاح على الشروط اللازم توفرها في المتكلم من حيث الخبرة، والحذف للآلة البلاغية والنصوص الاستشهادية الضرورية لكل حجاج، هذا علاوة على تخير القالب اللغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد، و دفع السامع إلى تحقيق المضامين النصية[2].

يقول الجاحظ: «**أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش،ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متحيز اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولاالملوك بكلام السوقة، لأن ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام، وأحسن الذي قال لكل مقام مقال**»[3]ففي هذا النص يتضح أن الغاية القصوى، عند الجاحظ في كتابة "البيان والتبيين" هي الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة)، وتحدد الأولى طبيعة الثانية، وشكلها حسب المقامات والأحوال[4].

ونكتفي بهذا القدر حول رؤية الجاحظ البيانية الحجاجية، التي ظهرت في وقت مبكر من تاريخ الدراسات البلاغية العربية، وتناوله للحجاج وإن لم يكن متناسقا أي مشتتا ضمن البيان، إلا أنه شمل معظم عناصر المقام ومحدداته الداخلية والخارجية و أدوارها الحجاجية، فالبيان الذي دعىإليه إنما هو حجاج بالمعنيين البلاغي والاجتماعي[5].

- الحجاج عند أبو هلال العسكري:

---

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية وأصولها وامتدادها، إفريقياالشرق، المغرب، ط/1، 1999م، ص19.

[2]- محمد سالم، محمد الأمينالطلبة، الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، ص،214.

[3]- الجاحظ أبو عثمان، عمر بن بحر، ت/عبدالسلام هارون، البيان والتبيين، دار الفكر، د/ط، ص92.

[4]- ينظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط/1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004م، ص449.

[5]- ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، ص215.

ربط الحجاج بالشعر، معناه أنالشعر له وظيفة حجاجية كبيرة، لأن الشاعر يقول كلاما يحس به ويشعر به دون غيره، لذلك فهو يريد أن يصل إلى مرام وأهداف حجاجية، من خلال شعره يقول العسكري «**وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأدبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة**»[1]

فالشعر هو الفن الأساسي الذي تقام به الحجج، وقد ينهض بوظيفة الحجاج وليس بوظيفة الجدل حسبه.

3- الحجاج عند ابن وهب:

أما**"ابن وهب"** فيربط الحجاج بالجدل والمجادلة وهذا في كتابه الموسوم **"البرهان فيوجوه البيان"**، ويظهر هذا في تعريفه للجدل **:«وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، والتسول والاعتذارات، ويدخل في الشعر والنثر»**[2].

وينبغي للمجيب أن يقنع وأن يكون إقناعه الذي يوجب على السائل القبول.

ثم شرع في تصنيف الجدل وتقسيمه أخلاقيا، على غرار تقسيمات **"أرسطو"** الخطابية، إلى جدل محمود وآخر مذموم«**فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحقويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة**».[3]

وقد اشترط **"ابن وهب"**في أدب الجدل ما يلي:[4]

- أنيحلم المجادل عما يسمع من الأذى والنبر.
- ألا يعجب برأيه وما تسوله له نفسه.

---

[1]- أبو هلال العسكري، ت/علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفصل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1، 2006، ص49.

[2]- أبو الحسين إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق جزي محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، د/ط، ص150.

[3]- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص176.

[4]- المرجع نفسه، ص190.

- أن يكون منصفا غير مكابر، أنه يطلب الإنصاف من خصمه، ويقصد بقوله وحجته.
- ألا يستصغر خصمه ويستهين به.

2-2-2 حديثا:

2-2-2-1 الحجاج عند طه عبد الرحمان:

يعتبر **"طه عبد الرحمن"** من الدارسين العرب الذين عالجوا مسألة الحجاج، بوصفه أبرز آلية لغوية، يستخدمها المرسل للإقناع وينبني فعل الإقناع بصفة دائمة على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصا المرسل إليه، والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة[1]والحق أن إستراتيجية الإقناع تستخدم لأغراض نفعية، إذ يعمد المرسل إلى الظفر بإقناع المرسل إليه (الجمهور المتلقي) بواسطة **"الإيطوس"** كما يرى **"طه عبد الرحمن"**أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية انطلاقا من أنه لاخطاب بغير حجاج.[2]

ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفا خاص ينبني على قصدين معرفين هما: "قصد الإدعاء"و "قصد الاعتراض"، أما قصد الإدعاء فهو: «**الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه، وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذنفالمدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله**»[3]، وقصد الاعتراض، يكون من المخاطب أو المنطوق له، وهو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي، ومن هنا يصح أن يكون المنطوق به خطاب حق، أي يتوفر الإدعاء و الاعتراض، أو الحجاج الذي يعرفه بقوله: «**إذ حد الحجاج،أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها**»[4]، ويسميه كذلك العلاقة الاستدلالية البانية لحقيقة الخطاب.

وقد صنف الحجاج إلى ثلاثة أنواع هي:

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بنظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص444.
[2]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص213.
[3]- المرجع السابق، ص225.
[4]- المرجع نفسه ص226.

أ-الحجاج التجريدي:وهذا النوع من الحجاج يعتني بالشكل فقط دون المضمون، حيث يبرز اهتمامه بالعبارات، دون الاهتمام بمضامينها، ويعرفه **"طه عبد الرحمن"** بقوله: «**فالمقصود بالحجاج التجريدي هو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها، واستعمالاتها"**[1]،إذن فالحجاج التجريدي حسب **"طه عبد الرحمن"** يذهب مجرى البرهان، حيث يعتني المخاطب بترتيب العبارات مع بعضها البعض، دون الاهتمام بجانبها المعنوي،والإستعمالي، ومن هنا يكون المخاطب قد فصل مباني خطابه عن متنه محتواه، ناهيك أن هذا الفصل يجرده من صفة التداولية والحقيقة أنه من الخطأأن نفصل بين محتوى القول وشكله.

ب-الحجاج التوجيهي: يهتم هذا النوع من الحجاج بالمخاطب دون اعتباره لردة فعل المخاطب أو رأيه، ويعرفه **"طه عبد الرحمان"** بقوله:«فالمقصود بالحجاج التوجيهي هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علما أن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤها لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده، وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة غير أن قصر اهتمامه على هذه المقصود والأفعال الذاتية، يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب، ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض».[2]والملاحظ أنه في هذا النوع من الحجاج ينفرد المرسل بوجهة نظره فقط في ترتيب خطابه، ولا يهتم بالقطب الآخر الذي يستمع إليه وحججه ويحاول الاعتراض عليها وتفنيدها، لكان المرسل هنا لايهتم بالمرسل إليه، ولا يأبه به، فهذا النوع من الحجاج قائم أساسا على: نظرية الأفعال اللغوية التي تعني فقط بالاستدلال الذي يخص المخاطب .

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص226.
[2]- المرجع السابق،ص227.

مما سبق يتبين لنا أن الحجاجالتوجيهي أفضل من الحجاج التجريدي لكونه يهتم بالمخاطب، ومع هذا فهو يبقى سلبيا لكونه يهمل عنصر أساسيا في العملية الخطابية، وعلى عكسه هناك نوع آخر يهتم بالمخاطب وهو الخطاب التقويمي.

ج-الحجاج التقويمي: إن هذا النوع من الحجاج لا يتوقف في حدود المخاطب وخطابه، بل يهتم أيضا بالمخاطب وردة فعله كما أسلفنا الذكر، ويعرفه "طه عبدالرحمن" بقوله:«**فالمقصودبالحجاج التقويمي هو إثبات الدعوى بالإسناد إلى قدرة المستدل على أنه يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه فيها، هنا لايكتف المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط، وما يقتضيه من شرائط بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي»**[1].

باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين من المستدل له أن يقوم به مسبق استفساراتهواعتراضاته، ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها، ومستكشف إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها.

نرى من خلال هذا التعريف أن "طه عبد الرحمن"، قد نفض الغبار عن المتلقي وأعاد له اعتباره ودوره في العملية الحجاجية، وذلك بالنظر لما يثيره من اعتراضات على أقوال المخاطب، ما يؤدي إلى ظهور ذلك النزاع بين الطرفين، وهذا هو جوهر ولب العملية الحجاجية، فالمرسل هنا يبني خطابه الحجاجي بناء على مقتضى ما يتعين على المستدل له، أي بناء على توقعات مسبقة أو مفترضة لحجج المتلقي مراعي في ذلك عناصر السياق.

2-2-2-2الحجاج عند أبو بكر العزاوي:

لقد أسهم "أبو بكر العزاوي" في هذا المضمار بعدد من الكتب والمقالات التي توزعت بين دراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية، ومن بين أهم كتبه "اللغة والحجاج"و"الخطاب والحجج"، ومن أهم مقالته ما جاء بعنوان "نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، إذ طبق فيه مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة، اذ "يبدو ...أن الأقوال

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص228.

الإستعارية أعلى حجاجيا من الأقوال العادية"[1]، لذلك يقدم المرسل الحجة الإستعارية في بعض السياقات، بوصفها الدليل الأقوى، خصوصا ما صنفه على أنه الاستعارة الحجاجية لأنها «**تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية**»[2].

كما تطرق للحجاج في عمل آخر من خلال كتابه**"اللغة والحجاج"** الذي حاول فيه الإحاطة بتحديدات أساسية لنظرية الحجاج اللغوية، ويرى أن نظرية الحجاج اللغوية، ليست مقرونة بالبدايات الكلاسيكية للبلاغة الأرسطية، فأساس هذه النظرية حسبه تنطلق من أقطاب مدرسة "أكسفورد"، ويعني بها كل من**"أوستين" وسيرل"** الذين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللغوية، وقد قام **"ديكرو"** بتطويرها، كما اعتبر أن المراد منمفهوم الحجاج، هو ما أسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب[3]، كما تطرق في مبحث من مباحثه إلى نظرية السلم الحجاجي، الذي يمكننا من تحديد قيمة القول الحجاجية، ومدى تعلقها بالمبادئ الحجاجية، وأعطى أمثلة بروابط وعوامل حجاجية من اللغة العربية.

أما في كتابه "الخطاب والحجاج"، فقد عمل فيه على توسيع النظرية الحجاجية وتوسيع مجال تطبيقها، بعد أن كان محصورا في الروابط والأدوات الحجاجية، «**فلا ينبغي أن ينحصر التحليل في الأقوال والجمل، وإنما يجب أن يشمل النصوص الأدبية والدينية والسياسية وغيرها، فنخرج بذلك من مجال القول الضيق إلى فضاء الخطاب الرحب**»[4]واستطاع الباحث بذلك بلوغ غايته وهي العبور من المستوى التنظيري للحجاج في الخطاب،إلى التطبيق على أربع نماذج من الخطابات شكلت فصول الكتاب وهي الخطاب القرآني والخطاب الشعري والخطاب المثلي والخطاب الإشهاري، تصدرتها مقدمة، أعلن فيها بأن كل الخطابات المنجزة بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية.

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دراسة لغوية تداولية، ص 452.

[2]- لمرجع نفسه ص452

[3]- ينظر: أبي بكر العزاوي، الحجاجواللغة، منتديات سور الأزبكية، ط/ 1، 2006، الدار البيضاء، ص14-15.

[4]- أبي بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2010، بيروت، لبنان ص35.

2-2-2-3الحجاج عند حمادي صمودي:

ينطلق حمادي صمودي في دراسته للحجاج مع ذلك الفريق البحثي الذي شكل لتقصي بلاغة الحجاج في التقاليد الغربية، ويأتي في مقدمة هذه الأعمال كتابه تحت عنوان **"أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"**، «إذ جمع فيه بين عدد من النظريات هي على التوالي، الحجاج عند أرسطو، الحجاج أطره ومنطلقاته، الحجاج في اللغة لوصف أعمال **"ديكرو"**، ونظرية المساءلة عند "ميار"، والأساليب المغالطية في الحجاج، وينطلق **"حمادي صمودي"** في هذه المرحلة من «**اعتبار بلاغة الحجاج أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إلينا**»[1].

فالحجاج علاقة بين طرفين (أو عدة أطراف) تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل حسبا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو بميله عنه أو يصنعه له صنعا[2].

والوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف متعددة منها «**ما هو متعلق بالمتكلم ومنها المتعلق بالمخاطب ومنها الخاص بالمقام ،ومنها ماهو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها**»[3].لأن اللغة تمد المتكلم الحاذق بالأساليب الكفيلة لزحزحة المخاطب من موقعه.

ومن هنا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة هي:[4]- **البصر بالحجة** :وتعني حسن الاختيار والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حتى يسد المتكلم السبيل على السامع، فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة أو الخروج عن دائرة فعلها.- **تركيب الأقسام** : أي ترتيب الحجج التي أختارها المتكلم، بحيث يضع كل واحدة في مكانها المناسب الذي يمنحها الفاعليةفللمقدمة بناؤها الحجاجي، وللوسط كذلك لغته وحججه، وكل ذلك يصب في الخاتمة، التي ينبغي أن تلخص كل ما سبق في لغة قوية متلاحقة

---

[1]- ينظر: حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص8.
[2]- المرجع نفسه، ص102.
[3]- المرجع نفسه، ص103.
[4]- المرجع نفسه، ص103.

مختصرة، تدفع السامع إلى إنجاز مضامين الخطاب، أو على الأقل الوقوف منه موقفا إيجابيا.

-العبارة : حيث يعقب اختيار الحجج وترتيبها البحث عن الأسلوب الأمثل القادر على حمل تلك المضامين، وتوصيلها على أكمل وجه، لذا فلا غرور أن يلقى هذا القسم أهمية كبرى في تاريخ البلاغة على حساب الأقسام الأخرى، مما ساعد في فترة معينة على تماهي الحدود بين الخطابة والأدب[1].

❖ وبناء على ما سبق يتبين لنا أن الحجاج تتجاذبه مجالات علمية ومعرفية عدة، فلسفية بلاغية لسانية وحتى نفسية واجتماعية، انطلاقا من مؤلفات اليونان إلى أهم ما مورد عند العرب في هذا الشأن، وكل موقع من هذه المواقع يتناول جانب من الحجاج على حسب منطلقاته الفكرية وتطبيقاته المنهجية.

[1]- حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص103.

1ــضوابط الخطاب الحجاجي وخصائصه :

تؤكد النظريات الحجاجية الحديثة حقيقة كون كل النصوص والخطابات التي تنجز بوساطة اللغة الطبيعية حجاجية، لكن مظاهر الحجاج وطبيعته و درجته تختلف من نص إلى نص ومن خطاب إلى خطاب،فالحجاج نجده في القصيدة الشعرية والمقالة الأدبية والخطبة الدينية،والمحاورةاليومية واللافتة الإشهارية،والمفاوضات التجارية،والمناظرات الفكرية وغيرها، والخطابهو مجموعة من العلائق الدلالية المنطقية القائمة بين الجمل والأقوال، إذ الحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة لها، والدليل يفضي إلى نتيجة والنتيجة تفضي إلى دليل آخر وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويواجه القول الذي يتلوه.

1 ــ1 ــ الضوابط:

هناك العديد من الضوابط التي تميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص الأخرى منها:[1]

-أن يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية، فليس كل شيء قابل للحجاج.

-أن تكون دلالة الحجاج محددة، والمرجع الذي تحيل إليه محددا، بيد أن تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى، ولكن لا يكسبه دقة ونهاية.

-ألا يقع المرسل في التناقص في قوله أو فعله، وأن يكون الحجاج موافق للعقل، وإلا بدا زيف الخطاب، ووهن الحجة.

-أن يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين، لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضهما.

-ضرورة خلو الحجاج من الإيهام والمغالطةوالابتعاد عنها.

1- ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ،ص 266 ،267 .

-متلاك المرسل لثقافة واسعة **(بقدر ما أملك من ثقافة، بقدر ما أملك من حجج)**

يقول "**جيل دكلارك** ": «**إن الحجاج وهو يتخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلا له يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع وتطغى عليه المجادلة**»[1].

1 ــ 2 ــ الخصائص :

تتمثل أهم خصائص النص الحجاجي في النقاط الآتية:[2]

-**القصدالمعلن:** إحداث أثر ما في الملتقي أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبر عنه بالطريقة الإيجابية.

-**التناغم:** يوظف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواءتعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال وتكون له معرفة لنفسية الملتقي وقدراته ويتجلى أيضا في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.

-**الاستدلال:** وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، فالنص الحجاجي قائم على البرهنة،وإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية.

-**البرهنة:** إليها ترد الأمثلة والحجج، وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال.

من المؤكد أنه ليس كل خطابيضرورة يكون خطابا حجاجيا، فقد تكون نهاية خطاب ما ذاتية دون أن تهدف إلى إقناع أو تأثير على المتلقي، وبالتالي فهدف الخطاب ليس بحجاج، وحتى وإن كانت هناك تعابير حجاجية تأتي بشكل عرضي، لا يكون

1- سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم الهجري ، ص24 .

2- سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 26،27 .

هدفها الحجة أو الاستدلال على موقف، أو الدفاع عن أطروحة أو حمل الأخر على الانخراط في عمل ما.

أما " **طه عبد الرحمن** " فيميز بين الخطاب الحجاجي وباقي الخطابات الأخرى«**بكونه خطابا مبني وموجها وهادفا، مبنيا بناء استدلاليا، يتم فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلالوالمنطق والعقل، وموجها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها اكراهات قوليةأواجتماعية،أو ثقافية، أوعلمية أو سياسية تتطلب الدفاع عن الرأي، والانتصارلفكرة، وتتطلب نقاش حجاجي يلامس الحياة الاجتماعية والمؤسساتية لهدف تعديل فكرة أو نقل أطروحة، أو جلب اعتقادا أو دفع انتقاد**»[1].

إن طبيعة الخطاب الحجاجي تتمثل في اتسامه بـــــــــ :

1.2.1 البناء والدينامية :

ترتبط بميدان أن اللغة وعلاقاتها بالإنسان والعالم عبر التقنيات التي تبلور تلك الأفكار، وتلك العلاقات المتعلقة بمنطق الحياة، بمختلف مجالاتها وقطاعاتها أو بمنطق اللغة، أو بمنطق العقل، وهذا ما جعل فاعلية الخطاب الحجاجي، تأتي من طريقة بنائه، وتفاعل عناصره وديناميةمكوناته[2].

فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية يكون له دور مهم في عملية الإقناع، وهذا ما أشار إليه "**سيموني**"في دراسة أجراها على الذهن البشري حيث يقول: « **يقوى على معالجة سوى عدد محدود من عناصرالقول فالسامع لا يستطيع الحصول إلا على 10%مما يسمع**»[3]، ولهذا ينبغي التركيز على الأهم والأساس في الحجج، فيجب على المتكلم عند

1- طه عبد الرحمن : اللسان والميزان ، ص 226.

2- عبد السلام عشير :عند ما نتواصل نغير مقاربة تداولية،معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق ، المغرب ط/1،2006 ص 129 .

3- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

الإجابة،البحث عن الأسباب الدقيقة التي تبرره وتفسر أسسه ومتطلباته، واستعمال الحجج الملائمة والمؤثرة.

1 ــ 2 ــ 2 ــ التفاعل:

ينبني الحجاج على مبدأين أساسيين هما: **مبدأ الادعاء، ومبدأ الاعتراض** هذان المبدآن يؤديان إلى اختلاف في الرأي،ويدفعان للدخول في ممارسة الدفاع أو الاختصار للدعوى وهو ما يؤديتحقيق نوع من التزاوج بين المتكلم والمخاطب، ينشأ عنه ازدواج في مختلف أركان العملية الحجاجيةوهي كالتالي :[1]

-**ازدواج في القصد:** أي حصول الوعي للقصدين عند كل منهما.

-**ازدواج التكلم:** كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم، أو كما كان المتكلم بمحل لسان المستمع.

-**ازدواجالاستماع:** كما لو كان المستمع بمحل المتكلم في تسمعه.

-**ازدواجالسياق:** يحتوي سياق إنشاء القول على نصيب من سياق التأويل ونصيب من سياق الإنشاء.

فالتفاعل إذن هو تزاوج يحدث بين الملقي و المتلقي، وهكذا تكمن أهميته بأن يكون تفاعل مباشر بين المتكلم والمستمع في ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما،والتي تضم كل الإمكانات الخطابية الخاصة لمقام ما.

3.2.1.الالتباس أو اللبس:

إذا كانت اللغة الطبيعية أصلا مرجعا لكل غموض دلالي ومجالا لكل ارتياح لساني، فإن الأمر سيكون معقدا وعسير الفهم في العملية الحجاجية، أو أن الحجاج عمق

1 - المرجع السابق، ص129.

الالتباس، وهذا ما يجعل المجال مفتوحا أمام مهارات المتكلم، في فن القول ولإظهار كفاءته الإبداعية لكي يصل بسهولة إلى إفهام السامع، وتقريبه من طروحاته، حتى يتسرب إلى ذهنه وعواطفه،بغية إقناعه والتأثير فيه، والالتباس في المجاز الذي هو الاستدلال بعبارة على إشارتها ويكون جامعا بين معنيين متقابلين هما العبارة والإشارة[1].

فالعلاقة الحجاجية هنا لا تنحصر في الصورة البلاغية فقط، وإنما تدخل فيها كل الدلائل والرموز اللسانية وغير اللسانية، وهذا ما يحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب، فالحجاج هنا يكون فيه نوع من الغموض،أي يكون فيه لبس بالنسبة للمتلقي،حتى يجعله يقوم بتأويل كل قول يطرح له.

4.2.1. التأويل:

وهي عملية تقييم القول الحجاجي تقييما سلبيا أو إيجابيا على مستويين:

مستوى أول عن طريق استقبال القول كعلامة لغوية تحول فيها الرسالة من السننإلى الخطاب، وفي مستوى آخر يتم عن طريق تعالق عنصري الفهم والتأويل، فهم أولي لمعنى القول، ثم فهم آخر لتأويل معني القول، وتشير كل نظريات تحليل الخطاب في هذا الإطار إلى غياب درجة الصفر في القول، وإلى غياب استغلال الذات في الخطاب لأن الخطاب لا يستعمل إلا في إطار سياق ومقام معين، وفيهذا تؤكد النظرية التأويلية على اعتماد السياق في تأويل الخطاب لأن المعاني التي ينتجها الخطاب هي عبارة عن معان ضمنية، تنتج الإيحاءات التي يغرزها السياق اللساني (تركيب، بلاغة، تضمين)وتكتشف منها العملية التأويلية[2].

1- المرجع السابق ، ص 133.

2- المرجع السابق، ص133.

1 ــ 2. 5.الاعتقاد:

إن أهم الأهداف والجوانب الأساسية في العملية التخاطبية، هي استهداف اعتقادات الإنسان مما يشكل رهنا صعبا في كل حجاج، فاعتقادات الإنسان لا تمثل عناصر مادية ملموسة، فهي ترتبط ببعض المفاهيم كالنبل والتضحية ...فالمعتقدات بصفة عامة هي ملتقى الأخلاق المقبولة لأنها لا تخضع للتحليل العلمي، فهي تقوم على انساق فكرية، وعلل تمزج فيها الأقوال بالأفعال والمبادئ بالمسلمات والأقوالالسياقية...كلا تتفاعل لتؤسس أعمال المقيمة[1].

غير أن هذه الاعتقادات الجماعية لا تفوض نفسيا فرص، بل يكون لها معنى بالنسبة لكل فاعل، وهذا المعنى ينشأ من نتائج وحصيلة لعمليات تواصلية إقناعية يلعب فيها الحجاج دورا مركزيا.

6.2.1.الانتهاض إلى العمل :

يتمثل في تأثير القول الحجاجي الذي غالبا ما يدفع إلى رد فعل معين قد يكون عملا أو كفا عن عمل أو عدولا عنه، أو تحويلا لمساره، وهذا العمل هو الذي يدل ويؤكد بالملموس على حصول تأثير وإقناع بالحجة المقدمة، هذا الإقناع لدى المستمع، لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، باعتبار المطابقة دليلا وحجة تنسحب على المتكلم وتزكي موقفه.والتي يطلق عليها مبدأ "**الانتهاض إلى العمل**": وهو مبدأ محوري في ظل الجوانب التواصلية والخطابية، وتعرف بأنها "**الدليل الذي يجب اعتماده للعمل به بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل**"[2].

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- طه عبد الرحمن : اللسان والميزان ، ص 133 .

وبالنظر إلى النظريات الحجاجية الحديثة المقاربة للخطاب الحجاجي،أمكن الحديث عن جملة من الخصائص من النواحي البلاغية والتداولية[1].

وتتمثل على الترتيب في الخصائص الأسلوبيةوالحوارية:

7.2.1.الخصائص الأسلوبية:

وتسم الخطاب الحجاجي البلاغي، فهي مجموع المحسنات أو الأشكال البلاغية التي يعتمدها الخطاب – شرط عدم الإفراط في الاعتماد عليها – من أجل إقناع الملتقي والتأثير فيه، بإحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي، وهذه الأساليب تتوقف جدواها على مدى تأديتها لدورها الحجاجي، وتتمثل أساسا في " **الاستعارة** " **«التي تأتي أهميتها من انحدارها مما يسميه ببرلمان "القياس"، ودوره في الأبنية البرهانية»**[2].

ويأتي "ا **لمثل**" كامتداد للاستعارة التمثيلية، وكصيغة لا تتغير أبدا رغم تغيرالسياقات التي يرد فيها باعتباره حجة ودليلا وبرهانا، وعلى صعيد التداولية، المثل أضيق مجالا عند وروده في صورة أطروحة لا نقيض لها لأن النقيض تداولي بتحقيقه للجدلية لذا فالجدلية تداولية، والتداولية جدلية ويتمظهر التمثيل في صور عدة : [3].

- المثل الجدلي وغير الجدلي.
- التمثيل البلاغي الذي يأتي على شكل نص سردي، أو سرد حواري.
- الأمثولة التي تتخذ شكل أسطورة أو حكاية أو قصة، أو رواية حوارية.

8.2.1.الخصائصالحوارية :

1– هاجر مدقن :الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ، دراسة تطبيقية في " كتاب المساكين ل ،" الرافعي " كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ورقلة ، 2003 ،ص 56،72 .

2–صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت د/ط ، 1992 ص 56 .

3– طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 46 .

يعد المستوى الحواري أو التحاوري، من أهم مستويات تجلي البعد التداولي للخطاب الحجاجي انطلاقا من تجدر هذه الظاهرة التخاطبية الحوارية في صميم كل خطاب على الإطلاق، والحوارية وحجاجها من نتائج العملية التواصلية، ولهذا يصعب حصر كل اتجاهات المناقشة والتخاطب الحجاجي، حتى مع محاولة وضع قواعد ومسلمات لذلك النشاط الخطابي بدوره ليس معزولا عن مضمونه السوسيوأخلاقيوالتواضعي(**العرفي**)، مما يؤدي إلى تنوع الأداءات انطلاقا من تباين العلاقات التخاطبية بين مخاطب ومخاطب ومن بين هذه التباينات أو الظواهر:[1]

1.8.2.1ـ التشخيص:

يؤكد "ببرلمان" فكرة أن الحجاج ليس في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها،ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج بلا غاية ولا تأثير والنقاش أو الحوار من مقتضيات هذا التأثير أوالإقناع، ويكون – الحوار أو النقاش– إما :

ـــــ **صريحا:**عنداتخاذ مواقف علنية معينة.

ـــــ **ضمنيا:** عندما يجرد المتكلم (**خطيبا أو كاتبا**) من نفسه،محاججا **(محاورا)**خاصا يتناول معه هموم المخاطبين، ويساعده على تبين هفوات الطرح وأماكن الضعف فيه، كي لا يقع في بعض العيوب الخطابية أو الكتابية، التي تدخل التناقص والتفكيك إلى النصوص.

2.8.2.1.المقام :

1– هاجر مدقن : الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ،ص 60، 65 .

حظي "**المقام**" باهتمام كبير في النظرية الحجاجية، باعتباره البؤرة التي تلتقي فيهاجميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية، وحقائق علمية، وقرائن بلاغية وقيم مختلفة، ويقدم **بيرلمان**تصورينأساسين للمقام:[1]

ـــــ فهو تارة يعتبره الإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية ولكل المشاركين فيها.

ـــــ وتارة ثانية يعتبره تلك المقدمات ذات النظام العام، التي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم.

2 ــ العلاقات الحجاجية و أشكال الحجاج :

إن بناء القول الحجاجي يتشكل عن طريق تفاعل مكوناته الداخلية من استدلالاتومفاهيم، ومكوناته الخارجية من وقائع إنسانية وتجربة وأسباب ومسببات، وهي عناصر ضرورية، لكنها غير كافية لفهم وتحليل القول الحجاجي ذلك لأن الحجاج يطرح إشكاليات أخرى ترتبط بطبيعة أشكاله وأنواع حججه وطرق توظيفها[2].

وفي هذا الإطار تكون الحاجة ماسة إلى معالجة أشكال الحجاج وأنواع حججه،معالجة جدية بحيث لا يكون الهدف منها الوقوف على الحجاج باعتباره بناء نظريا خالصا، وإنما يكون هدفها طرح القضايا الإشكالية التي يتناولها الحجاج.

1.2. العلاقات الحجاجية:وهيكالأتي :[3]

2 ــ 1.1.علاقةالتتابع:

يقع التتابع إجمالا على مستويين أحدهما مستوى الأحداث، حيث تنغرس الحجة في الواقع، وتنتهي بداهة إلى أحد الصنفين وهما:

1- المرجع السابق، ص 65.

2عبد السلام عشير : عندما نتواصل لغير ، ص 156 .

3- سامية الدريدي :الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 321 .

أولها الحجج في الواقع، والحجج شبه المنطقية، وثانيهما مستوى أعمق من الأول يتصل بالحجج فيما بينها، حيث تقتضي الحجة حجة أخرى وتؤكد الثانية الأولى.

2.1.2 . العلاقة السببية :

هذه العلاقة تعد من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي حيث لا يكتفي المتكلم فيها بربط الأفكار، والوصل بين أجزاء الكلام، بل يعمد إلى مستوى أعمق، فيجعل بعض الأحداث أسبابا لأحداث أخرى،يسم فعلا ما بنتيجة متوقعة لفعل سابق، ويجعل موقفا معين سببا مباشرا لموقف لاحق .

3.1.2.علاقة الاقتضاء :

تعد علاقة الاقتضاء ذات طاقة حجاجيةعالية،حيث تجعل الحجة تقتضي النتيجة اقتضاء، فتغدو العلاقة ضربا من التلازم وهو ما لا توفره سائر العلاقات الأخرى، حتى السببية، وأقدر الروابط الحجاجية على توفير هذا النوع من العلاقات أدوات الشرط المختلفة.

4.1.2.علاقةالاستنتاج:

هذه العلاقة منطقية، مما يدين به الحجاج للمنطق، وهي تؤكد أن الحجاج في جانب من جوانبه، يعد فن للانتقال من فكرة إلى أخرى بشكل منظم ويسير.

5.1.2.علاقة عدم الاتفاق أو التناقض:

بواسطة هذه العلاقة ندفع أمرا بإثبات تناقضه مع نتيجة للخطاب،وإن كان التناقض ليس شكليا خالصا وإنما أقصى ما يمكن الحديث عنه هو انعدام التوافق بين الحجة والنتيجة.

2.2. أشكال الحجاج:

وهي كثيرة يصعب حصرها فقد ذكر " **أرسطو**" أنها تربو المئتي نوع وفيما يلي أبرزها:

1.2.2 .الحجاجالمغالطي:

وهو الحجاج الذي يقوم على عدم وجود الصحة، والظهور بمظاهرها كالذي يظهر في القياس المبكتالذي تلزم عنه نتيجة هي نقيض النتيجة التي وضعها المخاطب، إنه إذن نمط من الحجاج، يفتقر إلى الصحة ويوهم بذلك، وقد أرجع أرسطو ذلك،[1] إلى مايعرض للمعاني من قبل الألفاظ، من عوارض تحدث اللبس، والغموض في الأشياء والألفاظ[2]،كما في المثال التالي:

ـــــ حسان درس في الأزهر فهو أزهري.

فلفظ الأزهر يحمل معاني مختلفة، دون أن يقتضي ذلك دلالاتها على معنى بعينه، وهو أمر قد يوهم قليلي الخبرة فيضطرب فهمهم وعلى هذا الأساس أعتبر مؤلفو، نقد الحجاج عنصر المغالطة بمثابة طعم يتوسل به المتكلم لتحقيق غايات معينة.

ومن أنواع الحجاج الخاطئ المغالطة والخداع والتضليل والإيهام فهذه النوازع يملكها الجنس البشري، إما دفاعا عن النفس أو سعيا وراء تحقيق مصلحة،إذ هناك من المتكلمين من يرمي قصدا إلى المغالطة، وهناك من يتناولها بحسن نية.

فإذا طرحنا هذا السؤال:هل هذه المسائل كلها جيدة أم لا.

فهو سؤال ينطوي على جمع مسائل مختلفة في قضية واحدة، فيكون الجواب المطلوب واحدا، وكانت إزاء مسألة واحدة، وكل جواب على هذا السؤال يوقع في المغالطة، إنه سؤال مفخخ، يسعى إلى الإيقاع بالمخاطب، لأن صاحبه لا يطلب جوابا،وإنما يريد إحراج المخاطب.

1- ينظر أرسطو طالس : منطق أرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، دار القلم بيروت ، ص 1980 م، د / ط ، ص 670 ، 969 .

2-عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 159 .

2.2.2. الحجاج بالسلطة :

من أدوات الحجاج اعتماد التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي وخاصة النصوص الدينية والسياسية، ويمكن أن نجد هذا النوع من الإقناع الذي ينحو منحى استسلاميا، أمثلة عديدة في الخطابة العربية، كخطبة الحجاج لأهل العراق، قوله مثلا:«**من أعياه داؤه فعندي دواؤه**» فالحجة **(من أعياه داؤه)**، نتيجتها جاءت في شكل تهديد مباشرمن الحاكم **(فعندي دواؤه)**[1]

3.2.2. الحجاج بالمثل:

الحجاج بالمثل ينطوي على بعض الخلاف لموضوع القاعدة الخاصة التي يسعى المثل إلىتثبيتها، ولكن هذا الحجاج، يفترض اتفاقا مسبقا على إمكانية التعميم بعد التخصيص، أو على الأقل تفادي آثار القصور أو الجمود لهذا المثل[2].

الأمثال هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي بما يختزنه من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية ذات قيم مجتمعية، تستقطباهتمام الأفراد، وتستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع بما تقدمه من تصور، وتجريد للأشياء وما تتضمنه من مشابهة، يستدعيها سياق القول الحجاجي، نظرا لما تحدثه من تماثلات بينها وبين الأهداف من إدراجها، وسوقها، وهي بذلك تدخل في إطار التمثيل الحجاجي، كما يتضح في المثال التالي: «**يداك أوكتا وفوك نفخ** »، وهو يعني أنك المسؤول عن قضيتك، وهي حكاية تاريخية تمثل تجربة معينة لشخص مسؤول عن فعله، وتبين أن الهدف من المثل هو تقوية درجة التصديق بقاعدة أو فكرة، أو أطروحة معلومة تقدم ما يوضح القول العام وتقوي حضوره في الذهن[3].

1-ينظر: قدور عمران : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني،عالم الكتب الحديث ،إربد الأردن ،سنة 2012،ص45.

2- Perlman et tyteca :traite de argumentation نقلا عن قدور عمران :البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 46 .

3-عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 95 .

4.2.2. الحجاج بالتجهيل والمغالطة المعرفية:

وهو حجاج يقوم بإفحام المخاطب من خلال تعجيزه بما ينفي ما سبق تأكيده بالحجة، أي أنيقف المخاطب حائرا لا يملك ردا على ما قاله المخاطب سوءا بالموافقة، أو التفنيد،ومثال ذلك:

لنفرضأن هناك مناقشة بين اثنين حول المعاجم العربية حيث إن كليهما، لا يملك إلا معطيات سطحية، فيقول الأول للثاني:

أول نواة للمعجم العربي كانت مع الخليل.*

و بماأن كلاهما كما قلت سطحي المعرفة.

فالثاني لا يملك ردا على هذا، لا بالإثبات ولا بالتفنيد.والقاعدة المعتمدة هنا هي: إذا لم تأت بما ينفي حجتي فهي صحيحة، وهي قاعدة تتنافى، مع قواعد البحث العلمي، التي ترفض الخلط بين غياب الحجة، و توفر الأدلةالنافية.

5.2.2. الحجاج بالقوة:

«ويتوجه هذا النوع إلى المخاطب قصد تكييفه وفق ما يريده المتكلم دون اعتبار ما يفكر فيه المخاطب، أو يعتقده، و دون أن يخاطب المنظومة الفكرية للمخاطب، بقصد تغييرها، و إحلال انتظام آخر محلها بعد حصول اقتناع ذاتي، يكون ناتجا، عن الأثر المباشر لعملية الحجاج »[1].

---

* يجمع الدارسون على أن أول نواة للمعجم العربي ، مع "ابن عباس " رضي الله عنه .

1. عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير ص 167 .

و مثال ذلك إذا قلنا:

- انتخب فلانا ، فهو أقدر على رفع مستوى معيشتك.

- والمسكوت عنه هنا: أنك إذا لم تنتخبه فستتدنى معيشتك.

و هذا هو الحجاج بالقوة، فهو يسعى إلى تحقيق مصلحة اجتماعية خاصة على طريق الترغيب، أو الترهيب.

3- آليات الحجاج:

يقوم الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تنفرد بمجال من المجالات دون غيره، بل نجدها تتماشى مع احتياجات المخاطب لها، فينتقي حججه و يعمل على ترتيبها وفق طريقة تتناسب مع السياق المحيط بخطابه.

و قد قسم "**بيرلمان**" وزميله "**تيتكاه**"تقنيات الحجاج اللغوية إلى قسمين هما :

تقنيات طرق الفصل، و تقنيات طرق الوصل، و يقصد بهذه الأخيرة ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، و كذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا، و تقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها، أو تفكيكها.[1]

و لا يصح أن نعتقد أن هذه الأدوات هي نفسها الحجج، بل إنها مجرد هياكل، و قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، و تعين المخاطب على تقديم حججه في الشكل الذي يتماشى مع السياق، و يمكن تقسيم هذه الآليات إلىثلاثة أقسام تبعا للمخطط الآتي:

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، نقلا عن Perlman and tyteca the new rhétrice، ص 477 .

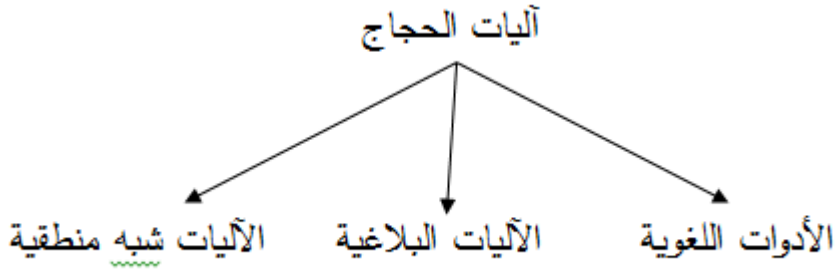

و سنتطرق بشيء من التفصيل إلى كافة هذه الآليات حتى نستخلص منها أهم ما يحتاجه المحاجج في خطابه.

1.3. الأدواتاللغوية:

والمقصود بالأدوات اللغوية، تلك الأدوات التي تساعد على عقد العلاقات بين الحججو النتائج، أي أنها تعين المتكلم على تقديم حججه في صورة تناسب المقام، أو السياق الذي هو فيه وتصله إلى غرضه، من طرح الخطاب على ذلك المتلقي أي «**أننا نتكلم عامة بقصد التأثير وهذا التأثير والحمل على الإذعان والإقناع، بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات، إنما يحصل بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية، التي يتوافر عليها المتكلم** »[1]، كون اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية في بنية الأقوال اللغوية[2]، و يمكن رصد هذه الأدوات اللغوية فيما يأتي:

1.1.3. ألفاظ التعليل :

وهي من ضمن الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لإنتاج خطابه الحجاجي و ترتيب حججه فيه منها: **كلمة السبب،والمفعول لأجله، ولأن** ،فالمخاطب لا يستعين بهذه الأدوات إلا لهدف تبرير،أو تعليل فعله على اعتبار سؤال متلفظ به أو مفترض.

1- حافظ إسماعيلي علوي : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج1، ص 56 .

2- المرجع نفسه ، ص 55 .

فالمفعول لأجله مثلا لفظ من ألفاظ التعليل لكونه « **المصدر الذي يدل على سبب ما قبله (بيان علته)، ويشارك عامله في زمنه وفاعله [وهو] ثلاثة أقسام قياسية:مجرد من أل، وبالإضافة [...]، ومضاف[...]، ومقترن ب أل، وهذا القسم دقيق في استعماله، وفهمه قليل التداول قديما و حديثا**»[1].

وتعد "**لأن**" من أهم ألفاظ التعليل،فقد يستعملها المرسل في بداية خطابه الحجاجي، وتعمل على تبرير الفعل و إثباته، أو على تبرير نفيه أو عدمه، وتشترك معها في وظيفة التبرير "**كي**" الناصبة،في مثل :

– أطعت والدي لكي أرضي ربي.

قال تعالى : «**بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**» (260/2)

و منها التلفظ بكلمة السبب في الخطاب مثال: «**استطاع الرسول الكريم أن ينشر الدين الإسلامي والسبب في ذلك راجع إلى ثقته بربه، ونصرة الصحابة له، وما كان يمتاز به من صفات حليمة، زادت في حب و ثقة الناس به**».

فكلمة **السبب** هنا تمهيد لجملة من الحجج التابعة لها فهي توحي إلى ما وراءها، من حجج على دعوى أن الرسول –**صلى الله عليه و سلم**– نجح في تبليغ رسالته.

بالإضافة إلى**الوصل السببي** وهو أداة من أدوات التعليل، يستعمله المخاطب في الربط بين أحداث متوالية تكون فيها النتيجة تمهيدا لنتيجة أخرى[...]، وهو ما وسمه "**بيرلمان**"، بالحجة التداولية التي تمنح فرصة التقويم لحدث أو عمل ما، وذلك بالنظر إلىتتابعاتهاالمرغوبة أو غير المرغوبة، ولهذا فإن الحجة التداولية تضطلع بدورهام في تثمين الأعمال سواء في وضعها الحاضر، أم في وضعها المستقبلي، ولا يقتصر دورها على ذلك، بل يتجاوز المرسل بها إلى توجيه السلوك، والفعل المستقبلي.[2]

---

1 عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ، ط / 4 ، ج/2 ، ص 237 .

1 - Perelman andtytecathenewrhetoica: نقلا عن، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 481.

2.1.3.الأفعاللغوية:

يرى "**فان إيمرينوغروتندورست**":«**أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب، وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمخاطب يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري، إن لم يكن كلها، وذلك ليعبر عن وجهة نظره، وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد والإذعان ولتدعيم وجهة نظره،أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، كما يعبر بها عن تنازله عن دعواه وكذلك لتأسيس النتيجة**»[1].

ولا يقتصر دور الأفعال الكلامية على الإسهام في بناء الخطاب فحسب، بل قد يوظفالمرسلالنفي،والإثبات، والاستفهام، على اعتبار أنها الحجج نفسها.

ويعد **الاستفهام**من أنجح أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، فهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم،إذ أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف، إذا كان المخاطب، يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم[2].

وقد يتحقق الحجاج من خلال **الاستفهام** ا لذي يستعمله المرسل حسب ما يتطلبهالاستلزامالحواري، فالسؤال حجة قوية ووسيلة مقنعة للمرسل إليه، وبالخصوص عندما يضمر المرسل قصده، إلى حين تسليم المرسل إليه شيئا فشيئا.

---

2 - Frans H, Van Eemerenandrobgrootendorst, Analyzing argumentative discurse : نقلا عن، حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته ج 1 ص 83، 84.

2- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص 486 .

وتنازله عن معتقداته السابقة الواحدة تلوى الأخرى، وكلا الطرفين (المرسل والمتلقي) يدركان أتم الإدراك أن الهدف من وراء هذه الأسئلة ليس هو الكشف عن شيء مجهول نسعى إلى معرفته، وإنما هو بناء معارف جديدة، تضاف إلى معارف المتلقي، وهنا فقط تظهر حقيقة الاستفهام بالنظر إليه من جهة حجاجية، لا من جانب صياغته، و معناه الحرفي فقط.[1]

وكما يتحقق الحجاج بالاستفهام، فإنه يتحقق بالنفي أيضا لأن القول المنفي قد يكون فيصلا حاسما في البرهنة على رأي ما، أو قضية معينة.

3.1.3. الحجاج بالتبادل :

يسعى المرسل من خلال هذه التقنية إلىأن يشبه الموقف نفسه في حالتين لا ينطويان تحت سياق واحد ، وذلك باستخراج أوجه الشبه بين السياقات ، وقد تكون هذه الحجج ناقلة في طياتها لوجهة نظر بين الطرفين (المرسل والمتلقي) ومثال ذلك:

ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

وقوله عز وجل:«**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**» (44/2)

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

ونلمس كثرة حدوث هذه الأقوال في الخطابات اليومية، لا سيما إذا استهدفت مجال النصح و الإرشاد، بغرض إقناع المرسل بجدوى ما يذهب إليه.

4.1.3. الحجاج بالوصف:

يعد الوصف من الآليات اللغوية الفعالة في وضع الحجج الواردة في الخطاب الحجاجي في درجة سلمية معينة، فاختلاف الوصف يؤدي إلىالاختلاف في قوة أو

1- وفاء دبيش: الإقناع ووسائله في الخطابات المستدركة على نهج البلاغة، دراسة نصية تداولية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2008، 2009 ص28.

ضعف الحجة المستعملة، في أي خطاب كان، ويضم عددا من الأدوات اللغوية نذكر منها: الصفة، اسم الفاعل،واسم المفعول.

1.4.1.3. الصفة:

وتمثل حجة للمرسل في خطابه من خلال نعت شيء معين، بهدف إقناع المرسل إليه فهي آلية الفعل الحجاجي، فلا يكتف المرسل بتوظيف معناها المعجمي فقط، بل يتدرج من خلال التقويم والتصنيف إلى اقتراح النتائج التي يرغب في الحصول عليها أو فرضها وهذا ما يجعلها مرنة مطوعة تساعد على لفت انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقنعه به المرسل في حجاجه.

وفي هذا السياق يذهب " **عبد الله صول ة**" إلى القول « **بأن اختيار النعوت، والصفات أصبح مظهرا من مظاهر اختيار المعطيات، وجعلها ملائمة للحجاج، فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة،إذ تختارها تجلو وجهة نظرها،وموقفهامنالموضوع،ويكون هذا خاصة حين نجد صيغتين متناظرتين، ومتعارضتين في الوقت نفسه**»[1].

واستعمال **الألقاب** أيضا من الصفات التي يمكن أن تجسد علامة على درجة الحجاج، وتعد ألفاظ القرابة من هذه الصفات، بوصفها تنتمي إلى درجة سليمة ذات درجات، فيختار المخاطب منها ما يرى انه يجسد درجة قرابته لغيره في الخطاب، [2] مثل:«**سيادة الرئيس أطلب من حضرتكم أن تنظروا في هذا الموضوع ... وكذلك أتقدم بالشكرللإخوة الكرام** »فلفظ الأخ،والرئيس، في هذا الخطاب لم يستعمل ليكون علامة على قوة العلاقة في حد ذاتها فحسب، بل ليبني عليها المخاطب حججا معينة.

2.4.1.3.اسمالفاعل:

1- ينظر : حافظ أسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ج/1 ، ص87

2- ينظر:المرجع نفسه ، ص 88 .

وهو نموذج من نماذج الوصف، يستعين به المرسل في خطابه على أنه حجة، حتى يتسنى له أن يصدر الحكم الذي يشاء، ويعرف اسم الفاعل بأنه « **اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث، وعلى فاعله فلا بد من أنيشتمل على أمرين معا هما: المعنى المجرد الحادث، وفاعله[...]ودلالةاسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث أغلبية،لأنه قد يدل – قليلا – على المعنى الدائم، أو شبه الدائم [...]، ودلالتهعلى ذلك المعنى المجرد مطلقة، أي لا تفيد النص على المعنى قليل أو كثير، فصيغته الأساسية محتملةلكل واحد منهما**».

وقد يصدر المخاطب وصفه مباشرة، وقد يمهد له بخطاب،مثل:

"**الله مسعف التوابين** " فكلمة " **مسعف**"، اسم فاعل صيغ من فعل "أسعف" وهو وصف ليس الغرض منه مجرد الإخبار، وإنما المحاجة أو الحجاج للوصول من خلاله إلى تصنيف الناس،وإدراجهم ضمن فئة معينة، (**منافقين، كافرين، توابين،مخطئين...**)، وقابلية مغفرة الله لهم، وإسعافهم في الوصول إلى التوبة.

1.4.1.3.اسمالمفعول:

ويدرج أيضا ضمن الأوصاف الحجاجية المستعملة، وهو« **اسم مشتق يدل على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه المعنى، فلا بد أن يدل على الأمرين معا**»[1].

فمثلا قولنا: **أنا مظلوم، أنصفوني.**

فالمخاطب هنا يضع نفسه في مرتبة معينة،تستدعي فعلا معينا مترتبا عليها،فادعاء وقوع الظلم على ذات المتكلم(أنا مظلوم) وصف يستوجب الاستعانة وطلب الإنصاف (أنصفوني)،ومن هنا يكتسي هذا الخطاب بعدا حجاجيا مرده إلى الاعتماد على"اسم المفعول"باعتباره تقنية مثلى لإقناع المخاطب بصحة دعواه.

1- عباس حسن : النحو الوافي، ج 3 ص 271.

2.3. الآليات البلاغية:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلكلاعتمادهاالاستمالة والتأثير بالصور البيانية والأساليب الجمالية، أيإقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معا حتى يتقبل قضية ما.

ويبدو أن:«**الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية، بل تؤدي وظيفة إقناعيةاستدلالية،ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية، تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية**»[1]

ولذلك لم يخطئ القدامى حين جمعوا بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية ولا مفر من البلاغة لأي حجاج.[2]

وإذا كان الحجاج آلة المتكلم في إقناع المتلقي وكسب تأييده وإفهامه فإن البلاغة «**آلة وهي التوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها ومتخيريها، ورديئها، وما يصلح في كل واحد من الكلام.**»[3]

وتكمن الوسائل البلاغية «**فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا إنضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة،وعلاقاتحجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام،وتصل بين أقسامه،أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما،أو رأي معين ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له،أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعرية**»[4].

1- صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر، سورية ، ط1 ،2008 ، ص 50 .

2- ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ،ص 120.

3- حميد آدم ثوني : البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار النشر والتوزيع ، عمان الأردن، ط1، 2007، ص12

4- سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 120 .

وهذا يحصل إذا نظرنا إلى علاقة الحجاج والبلاغة في أنها « **وضع للكلام في إدراك السامع بإيجاز أو تطويل، وتأدية المعنى لعبارة فصيحة، وصحيحة لها وقع في نفس السامع أو القارئ مع إدراك مكتنهمن يعرض أمامه الكلام**».[1]

فعلاقة الحجاج بالبلاغة تكمن في إدراك السامع وإقناعه،وهذا ما يمنح الخطاب قوة وطاقة حجاجية بها يوجه المتكلم المتلقي، وبها يبلغ مقصده، وتنقسم الآليات البلاغية إلى عدة فروع منها:

1.2.3. تقسيم الكل إلى أجزائه:

وفيه يعمد المرسل إلى ذكر حجته في صورة كلية في أول الأمر، ليعود في مرحلة لاحقة إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، وإن تضمنت أجزاء فمن باب محافظتها على قوتها الحجاجية، لأن كل جزء منها بمثابة برهان ودليل على صحة دعواه.

ومثال ذلك قوله : – صلي الله عليه وسلم– « **بني الإسلام على خمسة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإتاء الزكاة، وصوم رمضان وحجالبيت**».

ففي هذا الحديث يورد الرسول –صلى الله عليه وسلم– قضية مهمة وهي أسس بناء الإسلام ثم جزأها وكل جزء من هذه الأجزاءهو بمثابة حجة يدعم بها قضيته ولو حذفنا أحد هذه الأطراف، ضعفت قوة الحديث وبالتالي ضعفت قوة الإقناع.

2.2.3.التمثيل:

1– ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 494 .

«وهو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المخاطب من الاحتجاج وبيان حججه»[1]، والسبب في تأثير التمثيل على النفوس، لأن هذه الأخيرة تتأثر وتأنس لما هو واضح وجلي ومحسوس، وخصوصا إذا ربطت فكرة مبهمة بشيء واضح ومعروف لديها، وقد تطرق الجرجاني إلى هذا في قوله: «**مواقع التمثيل وتأثيره [لأنه] مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة [...] فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم [...] وإ ن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر،وبيانه أبهر**»[2].

فالجرجاني هنا يعلي من مكانة التمثيل في شتى أنماط الكلام سواءأكان مدحا أو فخرا أو حجاجا أو برهانا ...إلخ،لأن التمثيل يعين المرسل على بيان الحال وتيسير سبل الإقناع إلى ما يرمي إليه.

3.2.3.التشبيه:

ولأن التشبه يتصدر كل الصور البلاغية، وباعتباره من أكثر كلام العرب فقد تحدث عنه القدماء حديثا مفصلا ، «**واتفقوا على أنه يقرب بين الأشياء المتباعدة من وجه واحد، أو من وجوه كثيرة لا من جميع الوجوه**»[3]،يقول "**المبرد**"موضحا ذلك:

«أعلم أن للتشبيه حدا لأن الأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء و الرونق، ولا يراد به العظم والإحراق ».[1]

1- حافظ اسماعيلي علوي ،الحجاج مفهومه ومجالاته ،ج1، ص139.

2 – عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، شرح وتحقيق وتعليق عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت ،ط1، 1991م، ص118–119.

3- كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط1، 2012، ص36.

أما اليوم فقد تعددت وظائفه بحسب تعدد الاتجاهات الفكرية واختلاف نظرتها إلى وظيفتهومن ثم لم يعد الشاعر أو الخطيب مجرد مرسل يتغيا من صور المشابهة الإبانة والتوضيح عما يروج في خواطره، بل أصبحت وسيلة خلق وإبداع ذات وظائف متعددة تأتي الوظيفة الحجاجية في مقدمتها[2].والتشبيه يؤسس حججا من جهة أنه :[3]

يقرب الصورة وينقلها بمعناها في واقع حاضر، ويكشف ما هو خفي من صفات ليقتنع بها المتلقي.

التأثير على نفسية المتلقي، لأن التشبيه قد يغير سلوكا، ويوجه فكرا.

تزيد حجاجية التشبيه قوة حين يأتي بإيجاز بدل الشروح والتوضيحات.

تقريب المشبه إلى ذهن السامع، وهذا يحصل لأن التشبيه ينقل المعنويات في صورة الحسيات.

ويصبغ التشبيه بالحجاج حين يأتي موضحا ومبينا للمشبه تزينه، تقبيحه وهذا كله حجاج وتأثير على نفسية المتلقي، والتشبيه يكون أكثر حجاجا كلما كان أكثر خفاء، ومنه الضمني .وهو «**الذي لا يصرح بركنيه المشبه والمشبه به لا يذكران بل يلمح إليهما تلميحا في التراكيب، وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن**»[4].

4.2.3. المجاز:

1- ابو العباس المبرد، الكامل، ترجمة، محمد أحمد الدالي، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986، ص948.

2- كمال الزماني :حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 38.

3- عباس حشاني : خطاب الحجاج والتداولية ، ص293

4- حميد أدم ثويني : البلاغة العربية المفهوم والتطبيق،ص275.

«**يضعنا المجاز أمام قضية العدول عن الحقيقة إلى المجاز، وهو الميل والانتقال من أمر إلى أمر آخر، وهو عملية اختيارية**» [1]، وهذا يعني أن المخاطب في اختياراته اللغوية لا ينحصر في الألفاظ معجما وصيغا فحسب بل يتعدى ذلك إلى التراكيب، إذ من شأن التركيب الجيد الملائم للمعنى استمالة المتلقي ومساعدة الحجة على الفعل فيه، وبالمقابل الخروج عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ما يؤكد الغاية الحجاجية بالنظر إلى مقاصد المخاطب في خطابه إلى مقتضيات الأصوات والأشكال البلاغية، ومقاصد القول الحجاجية أساسا وهو يخرج عن المألوف.[2]

وبناء على ما سبق فإن « **العدول ما هو إلااستعمال للألفاظ في غير معانيها والخروج بها عن النمط، أو الدلالة الشائعة إلى الدلالة الطارئة (العدول أو المجاز) ولكن هذا العدول، وإن كان اختياريافإنه لا يتم بمعزل عن الدلالة، وهذا ما نراه واضحا في التنظيم البلاغي، حيث يلح البلاغيون على أن الحقيقة هي الأصل، والمجاز هو الفرع**».[3]

ففي الخطابات الشعرية أو النثرية دائما ما نقف على تراكيب ومعاني مجازية، تقع على نفس المتلقي وقعا حسنا، إذ تجعله يقتنع وهكذا يضمن المخاطب تحقيقا لمقصده وغايته، باستعمال ضروب المجاز أو بعدوله عن الحقيقة بما يسهم في نجاح العملية الحجاجيةوالإقناعية ومنه تتحقق إمكانية المجاز في الحجاج من جهة التدعيم والتثبيت التي تنبثق من المجاز إلى الحجاج على شكل طاقة تزيد في إقناع واستمالة المتلقي، ومن المجاز الحجاجي.

1.4.2.3.الاستعارة:

1- بنظر: علي كاظم علي شعرية المجاز في البلاغة العربية، مجلة جذور، مج 15، 08 شوال 1424 هـــ، ديسمبر 2003 م ص 247

2- ينظر :سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 108، 109 .

3علي كاظم علي : شعرية المجاز في البلاغة العربية ، ص 25 .

تعد الاستعارة مركز الحجاج وأهم آلياته البلاغية نظرا لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ،وهذا ما عبر عنه " **طه عبد الرحمن** " حين قال:«**العلاقةالاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج** »[1]، كما حاول أن يضع عددا من الافتراضات لبناء النظرية التعارضيةللاستعارة في الحجاج وهي:[2]

-أن القول الاستعاري قول حواري، وحواريته صفة ذاتية له.

-أن القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي، نخصه باسم التحاججلأن التسليم بها فيه نظر،إذ يكيفها المرسل وفق إرادته،ويختار من الألفاظ مرادهدون قيد.

-أن القول الاستعاري قولعملي،وصفته العملية تلازم ظاهره البيانيوالتخيلي.

إذ تبرز حوارية الاستعارة في تعدد ذوات المخاطب،عند تفضيله للاستعارة في حجاجه دون غيرها فيبدأ بالنظر في المعنى الحقيقي، في حال إظهاره وتأويله،وفي المعنى المجازي في حال إضماره وتبليغه،وذلك بتقلب ذواته الأربع بين هذه الأدوار،أما حجاجيتها فتظهر في تدخل آليتي الادعاء و الاعتراض وذلك عن طريق الموافقة على شروطها،وتبلورها من قبل الذوات الأربع فالوظيفة الحجاجية للذات المضمرة هو ادعاء توفر المعنى الحقيقي في الخطاب،أي المطابقة بين المستعار منه والمستعار له بينما الذوات المؤولة،فتكمن وظيفتها الحجاجية في الاعتراض على ذلك بإنكار المطابقة.

وكذلك هو الحال في المعنى المجازي،فوظيفة الذات المضمرة الحجاجية هي ادعاء المعنى المجازي للخطاب،أي المباينة بين المستعار له،والمستعار منه بينما يكمن دور الذات المبلغة في الاعتراض على هذه المباينة بإنكارها.وتكمن فعالية الاستعارة

---

1 طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 233 .

2ينظر: المرجع نفسه، ص 310، 313 وكذلك، ص 229، 235.

في تناسبها مع مقتضيات السياق،فهي تمثل أقوى وأبلغ الآليات اللغوية وترتكز الاستعارة في توجهها على المستعار منه،فتكون بذلك أقرب إلى الحقيقة،فيسهل عليها مهمة تحريك المرسل إلىالاقتناع[1].

و بناء على ما سبق فإن مسعى "**طه عبد الرحمن**"،«**كان بناء تصور جديد حول حجاجيةالاستعارةإبطالا للدعوى التي ما فتئت تجعل الغاية القصوى من الاستعارة التوسل بالتخييل واصطناع التجميل**»[2].

ولهذا يشترط أن تكون الاستعارة مفيدة،و تكمن إفادتها في المتكلم المحاجج،ومدى معرفته لمواطن الإثارة في الكلام على نفسية المتلقي، فهي الموصوفة بالحجاجية، «**وهي أكثر الاستعارات انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية**" [3]وبالمقابل لهذه الاستعارة–الاستعارةالحجاجية المفيدة– نجد الاستعارة الجمالية وهذا معناه أن التركيب الاستعاري الجميل الذي لا يقصد به الإقناع،إنما يقصد به الإمتاع.«**لا يوفر الحجاج بطريقة مباشرة،لكنه يؤثر فيه ويدعمه إنه رافد مهم و أساسي** »[4]. و الاستعارة بنوعيها المفيدة (**الحجاجية**)والجمالية،فالأولى توفر الحجاج و الثانية تعد رافدا له .«**لهذا فإن الإفادة من الاستعارة تعلو بما يحوطها من كلام تقدم عليها أو تأخر عنها،أو أنها كانت بداية وتلاها كلام،أو كانت نهاية وسبقها كلام**»[5].

1ينظر : المرجع السابق ، ص 310 ، 313 وكذلك : ص 229 235 .

2– طه عبد الرحمن : الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج ، مجلة المناظرة العدد 04 ، السنة 02 ، مايو 1991 م ، ص55

3– سامية الدريدي :الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 267 .

4– سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 268 .

5– حمدي بركات حمدي أبو علي :البلاغة العربية في ضزء منهج متكامل ، دارالنشر ،عمان ،الأردن ، ط1 ،1992م، ص44.

والاستعارة من المجاز اللغوي هي:«**تشبيه حذف أحد طرفيه فعلاقتها المشابهة دائما و هي قسمان تصريحية،وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه**»[1]ومثال ذلك ما ورد في قول الشاعر:**صدحت بلابلك القصا ح فعم مجمعنا الطرب**[2].

فالمشبه محذوف يعود على الشعراء والآباء والخطباء،والمشبه به هو " **البلابل** " وقد وظف الشاعر هذا النوع لأنه أبلغ من الحقيقة،وبهذا تقوم مقام الحجاج الذي يهدف إلى إحداث تغيير في المتلقي وتوجيه فكره أو التأثير في عواطفه.

أما الاستعارة المكنية فهي:«**ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه**»[3]. ومثال ذلك ما ورد في قول الشاعر:**وأقلع جذور الخائنينفمنهم كل العطب**[4].

شبه الخائنين بالأشجار ثم حذف المشبه به،ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو **(القلع)** والقرينة الدالة (**جذور)** على سبيل الاستعارة المكنية،وبهذا كونت طاقة حجاجيةبلاغية في القضاء على الخونة لأنهم سبب للفشل،وتتحقق فائدة هذه الط اقة الحجاجيةللاستعارة،إذ أحسن الشاعر صياغتها وتحيز معانيها.

ومنه تظهر حجاجية القول الاستعاري وقوته الحجاجية، فالبيت يكشف عن إنكار الخيانة، وطلبه يقوم مقام التأكيد بفعل الأمر،**(أقلع)** للنتيجة **(منهم كل العطب)**

و خلاصة الأمر **أن** الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول الى أهدافه الحجاجية، لأنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية.

24..2.3. الكناية:

1- على الجازم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، 1979 م، ص 77 .

2-عمار الطالبي :ابن باديس حياته وآثاره ، الجزء 03 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1، 1968. ص571

3- على الجام ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ص 77 .

4- المرجع نفسه ، ص 571 .

تعد الكناية من أنواع المجاز الحجاجية،ويكمن هذا في الرمز الذي تنشئه فهي احتجاج لقضية عن طريق الرمز و هي :«**ما أخفي من الكلام،و أصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم** »[1]، و ما يثبت حجاجيتها مراد المتكلم من الرمز « **والمراد بالكناية هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيءإلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود، فيومئ به إليه،و يجعله دليلا عليه**»[2]، وما يفضي إلىحجاجية الكناية العلاقة التي تكون بين المعنى الذي يقصده المحاججو المتلقي الذي يوجه إليه هذا المعنى.

على هذا النحو نستنتج أن الكناية ليست مجرد استخدام ألفاظ في الكلام و ترميز،بل هي أداة ووسيلة من الوسائل الحجاجية في الخطاب القرآني خاصة.

ومنه الكناية الحجاجية المفيدة بلاغة من الأنواع التي تقع تحت البيان المرادف للحجاج وهذا يوضح أهمية الحجاج في هذا الفن البلاغي،حيث يثبت أمرا و يستدل عليه وإرسال المتكلم معنى مكنى عن قصد فلا يذكره لأن الكناية أبلغ من ذكره،وبهذا يرتبط الحجاج بالكناية بثلاثة عناصر:[3]

1 ــ المتكلم المحاججالرمز لمعنى وغاية حجاجية.

2 ــ المتلقي المحاجج ←——————— الموجه إليه المجاز.

3 ــ الخطاب المجازي الحجاجي ←——— المحقق للغاية والقصد.

ولتحقيق الحجاج من الكناية، يوظفها المحاجج توظيفاإقناعا مناسبا، وعليه أن يتوخى المناسبة أي مناسبة الكناية لمقام معين، فيقدمها مقام الدليل القوي لقصده.

1- قدامة بن جعفر : نقد النثر، ص 61 .

2- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص 66 .

3- عباس حشاني : خطاب الحجاج والتداولية، ص 288 .

وتنقسم الكناية،« **باعتبار المكني عنه ثلاثة أقسام: فإن المكني عنه قد يكون صفة، وقد يكون موصوفا، وقد يكون نسبة**»[1].

وتظهر حجاجية الكناية وقوتها الاقناعية في العلاقة المجازية الرمزية التي يريد المتكلم اثباتها،وتكون الكناية مؤسسة لحجاج ناجح إذا كانت مؤلفة تأليفا حجاجيا وتركيبا صحيحا يجعل المتلقي يقتنع بمادلت عليه ويكشف مراد المتكلم من كلامه،ويظهر مما سبق إن للكناية وظيفةحجاجية

«**إذ تعد من وسائل تأكيد القصد وتحقيقه،وأبرز وظيفة حجاجية تذكر للكناية إنها تجعلك تشفي غليلك من خصمك دون أن تجعل له إليك سبيلا**»[2]

3.4.2.3.المجاز المرسل:

«**تكمن حجاجيته في تنوع علاقاته وكونها وسيلة مرسلة وليست مقيدة، وفي هذا يختلف المجاز المرسل عن الاستعارة في طبيعة العلاقة بين المشبه والمشبه به فالاستعارة مقيدة بالمشابهة، بينما تكون في المجاز المرسل غير مقيدة ويكون المجاز المرسل حجاجا لكونه كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي**»[3]. وتشكل علاقات المجاز المرسل حجاجا، إذ يكمن الحجاج في تنوع علاقاته ومنها «**السببية، المسببة، الجزئية، الكلية، اعتبار ماكان، اعتبارمايكون، المحلية، الحالية**»[4].

وعلى المحاجج اختيار التركيب ليحسن التأليف بغية إنشاء علاقة تثير المتلقي لإقناعه.

4.4.2.3. المجاز العقلي:

1- على الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة، ص 125 .

2- عباس حشاني : خطاب الحجاج والتداولية ، ص 291 .

3- على الجارم ومصطفى أمين :البلاغة الواضحة ، ص 110

4- المرجع نفسه ، ص 111 .

ويبرز الحجاج في هذا المجاز في الإسناد غير الحقيقي، فهو مجازي ويدرك بالعقل، ومن علاقة الإسناد و الإدراك بالعقل حجاج، فالمجاز العقلي « **هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غيرما هو له مع قرينه مانعة من إرادةالإسناد الحقيقي**»[1].

والحجاج في المجاز العقلي يكمن في علاقاته «**فالإسناد المجازي يكون إلى سبب الفعل أو زمانه، أو مكانه أو مصدره، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل** »[2].والمظهر الذي يدل على حجاج المجاز العقلي والمرسل، هو المتكلم والمهارة في تخير المعنى الأصلي والمعنىالمجازي، والعلاقة المجازية التي تعد بؤرة الحجاج،ويقوم الحجاج على المجاز في وظيفة لهذا الأخير، هي تصوير المعنى المقصود خير تصوير، [3]وعموما لا مفر للحجاج من البيان في كل أنواعه لاستعارة، الكناية، المجاز المرسل،المجاز العقلي،إذ تعد وسيلة من الوسائل الحجاجية البلاغية للإقناع، لهذا يكون الحجاج متدرجا فبعد التأثربروعة المعنى في التركيب والأساليب يحدث الإقناع .

والحجاج المجازي أو البيانييشترط فيه شروطا ليكون ناجحا:[4]

1 ــ مهارة المحاجج في استعمال أنواع البيان الاستعارة،الكناية...استعمالا حجاجيا.

2 ــ تخير العلاقة في الاستعارة والمجاز المرسل والكناية والتشبيه بين المعاني، هو ما يمنحها قوة وطاقة حجاجيةتساعد على إقناع المتلقي.

5.2.3. البديع:

1- حميد آدم ثوني :البلاغة العربية، ص 170 .

2- علي الجارم ومصطفى أمين :البلاغة الواضحة، ص 117 .

3- ينظر:عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 295 .

4- المرجع نفسه، ص 295 .

إن أغلبية الباحثين يجعلون دور البديع مقتصرا على الوظيفة الشكلية، والأوضح غير ذلك لأن البلاغة تنفتح على أدوار حجاجية أخرى ليس الهدف منها زخرفة الخطاب، وإنما الهدف منها هو الإقناع الذي يتماشى مع إبداع المرسل كيفما شاء، وفي هذا يقول طه عبد الرحمن: « **وإذا أدركنا أن الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات،والإلحاق،و إن هذه الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام تبينا أن أساليب البيان مثل:المقابلة،والجناس،والطوبغرافيا ليست اصطناعاللتحسين،والبديعوإنما هي أصلا أساليب للإبلاغ و التبليغ**»[1].

وتكمن حجاجية البديع في أمرين[2]:

ـــــ أحدهما قدرة الألفاظ البديعية والمعاني الجميلة التأثير على المتلقي، بموقعها الموقع الحسن من نفسية المتلقي، وبسحرها تقوده إلى الإقناع.

ـــــ وثانيهما أن كل قيمة جمالية في البديع تخص المعنى وتخص اللفظ، ما يؤكد اقتران الجمال بالإقناع فالمعنى يكون مقنعا، ولزيادة هذا الإقناع يحتاج إلى لفظ يزيده جمالا فتزيد قدرته التأثيرية على المتلقي.

وينقسم البديع إلى قسمين: **البديع اللفظي والبديع المعنوي** ، وكلاهما يمثل وسيلة تأثير واستمالة، ويحقق إقناعا،بل ينتج إقناعا يصاحبه جمال يؤدي إلى التصديق والإذعان فاللفظ الجميل البديع المقنع أنفذ إلى الأذهان والأسماع وأكثر وقعا في القلوب وأدعى إلى الامتثال والتطبيق.

1.5.2.3. الطباق :

ويفيد هذا المحسن المعنى وهو اتجاه واضح في الحجاج، حيث يقوم الطباق بوظيفة حجاجية هي توضيح المعنى، حيث يدعم المعنى بقوة الوضوح، ويجعل الدلالة

1- طه عبد الرحمن : مراتب الحجاج وقياس التمثيل ،مجلة الأدب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد بن عبد الله ، فاس، المغرب ، العدد 09 ص18.

2- عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، 296 .

واضحة مقنعة، « **والطباق وسيلة حجاجية يوضح، يحسن، ينمق، وقوع المعنى في ذهن القارئ موقعا يجعله يقتنع، ويحقق هذا حين يجمع الطباق بين معنين متقابلين، وهذا يبين موضع الطباق في الحجاج وقيمته الإقناعية**»[1].

«**لأن المطابقة الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهو نوعان طباق الإيجاب، وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، وطباق السلب ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا**»[2].

2.5.2.3 .المقابلة:

وهي: « **أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب** »[3]

والمقابلة الحجاجية هي التي يقتضيها المعنى ولا ترد متكلفة، وبما أن المقابلة تعتمد على إيراد معاني ثم الإتيان بما يقابلها، فذلك يسهم حتما في توضيح المعنى، والتوضيح من التقابل يساعد على تمييز الأشياء ومنه الإقناع في ثوب جمال المقابلة.[4]

وفي المقابلة تحدد النتيجة وتظهر الحجج مع بيان المقدمات، وتظهر نتيجة أخرى في مقابل النتيجة الأولى، وحجة ضد الحجة الأولى، وقد تكون المقدمة واحدة، إذن[5] المقابلة تظهر في النتائج والحجج وهذا المخطط يوضح لنا ذلك.

المقدمة 1 ← الحجة ← النتيجة.

المقدمة 2 ← الحجة المقابلة ← النتيجة المقابلة.

---

1 المرجع نفسه ، ص 297

2- على الجارم ، ومصطفى الأمين : البلاغة الواضحة، ص 281 .

3- المرجع نفسه، ص 285.

4- عباس حشاني : خطاب الحجاج والتداولية، ص 299 .

5- المرجع نفسه، ص 299

ومن هذا تعد المقابلة من أهم الوسائل البلاغية للحجاج للاستمالة والتأثير فهي تستميل وتؤثر بإجمال استعمالها وقوة علاقتها التقابلية على المتلقي.

3. 3.5.2.التورية:

وتكمن حجاجيةاستعمالها في أن«**يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان قريب ظاهر غير مراد ، وبعيد خفي هو المراد**».[1]

ولعل أهمية التورية الحجاجية وطاقتها الإقناعية عند كشف المستور، أي المعنى الخفي والمفاجأة التي تحدثها عملية الكشف عن هذا المعنى، ما يجعل المتلقي مشاركا في العمليةالحجاجية فالمتكلم يذكر لفظ لكنلا يريد معناه القريب وعلى المتلقي اكتشاف المعنى البعيد(وهو المقصود)وعلى هذا ندرك قدرة التورية على إفحام المتلقي وجعله يبحثعن المعنى لفهم قصد المتكلم، ولهذا دور حجاجي في تركيب بديع جميل، وعموما إن الجمال وتضافره مع الحجاج مدعما لنجاحه، وتحقيق لمقصد المتكلم وتوجيه للمتلقي وإقناعه.

4.5.2.3. الجناس :

وتكمن جماليته الحجاجية في أن « **يتشابه به اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى وهو نوعان: تام وهو اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة،نوع الحروف، وشكلها وعددها وترتيبها، غير تام وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة**»[2].

ويرتبط بأصوات الحروف،وتباينها قلة أو كثرتها في الدلالة على المعاني المطلوبة أو تساقطها وتطابقها في الألفاظ مع تباين الدلالة واختلافها[3].

---

1 – علي الجارم مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص 277 .

2– المرجع السابق، ص 265.

3– حميد آدم ثويني : البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، ص349 .

ويزيد الحجاج حلاوة في كونه « **حلية لفظية تكسب الكلام جرسا لذيذا وإيقاعا لطيفا، يجعل فيهمن الموسيقى والنغم، ما يحمل الأذن على الإصغاء والارتياح**»[1].

فالجناس يضع المتلقي أمام لفظة مكررة، لكن كل لفظة تحمل معنى، تكسبه لذة وإيقاعا وهذا ما ينتج نغما موسيقيا، يجعل المتلقي يصغي للمعاني ويرتاح لها، فيتحقق هدف الحجاج، ويمكن عد الجناس محسنا لفظيا يثري الحجاج ويدعمه من جهة الوقع في النفس ومنه تكمن فعالية الحجاج باستعمال الجناسفي الجرس الموسيقى والإيقاع الذي يقيمه فيكون بمثابة المؤثر المستميل لنفسية المتلقي.

3.3.الآليات شبهالمنطقية:

1.3.3. السلم الحجاجي:

يمكن أن تنتج بين الدعوى والحجة علاقة شبه منطقية، من خلال الأدوات اللغوية فيكون لب فعل الحجاج في ترتيب الحجج حسب درجة قوتها، إذ لا تسيطر غالبا إلا أقوى الحجج في السياق، لهذا باستطاعة المرسل أن يرتب الحجج التي يدرك امتيازها بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه، وهذا الترتيب هو ما يطلق عليه السلم الحجاجي وقد عرفه **ديكرو** بقوله:«**تسمي سلما حجاجيا كل علاقة ترتيبية لحجج معينة**».[2]

ويمكن الترميز لهذا السلم بما يلي :

نقول بأن (ق1) و (ق2) حجج و(ن) النتيجة المستخلصة من هذه الحجج.

1- ينظر : محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل،ص 69 .

1- l'argumentation dans la langue، Anxombre et Oswald Ducrot، نقلا عن كمال الزماني ، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه ، ص 140

والمثال التالي يوضح المفهوم السابق :

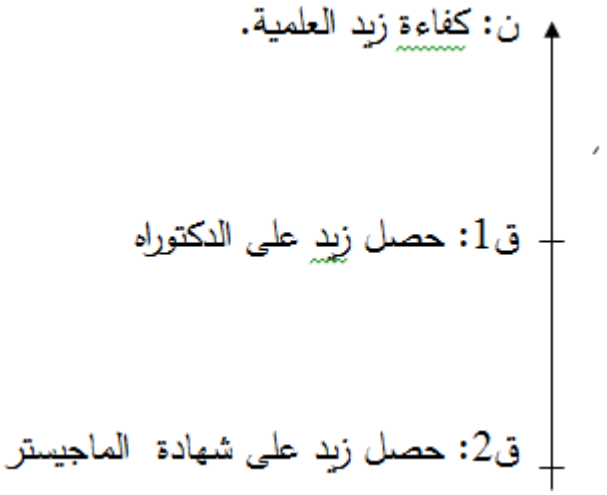

حيث إن الحجتين (ق 1) و(ق 2) تدعمان النتيجة (ن) لكن مع اختلاف درجات ذلك الدعم، إذ الحجة الثانية (حصل زيد على الدكتوراه) أكثر قوة في الدلالة على النتيجة (كفاءة زيد العملية)من الحجة الأولى، وأناستخلاص النتيجة (ن) من الحجة الأولى (ق1) يستلزم استخلاصها من (ق 2) والعكس غير صحيح[1].

وهو ما أجمله "**طه عبد الرحمن**" في قوله :

ـــ«ـــكل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

1- المرجع السابق، ص 141 .

ـــــ كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان مايعلوه مرتبة دليلا أقوى منه».[1]

وبهذا يصبح السلم الحجاجي عبارة عن فئة حجاجية موجهة، تبنى أساسا على التدرج بين الأقوال والحجج من الأقوى إلى الأضعف، حيث يستلزم ما يقع منها أعلى السلم لما يقع أسفله،وذلك كله بغرض دعم النتيجة المتوخاة وتقوية التصديق بها لدى المتلقي.

1.1.3.3. قوانينه :

إلاأن هذا التدرج ليس اعتباطيا، فقد أخضع لثلاثة قوانين رئيسية هي:

1.1.1.3.3. قانونالنفي:

الذي يعني «**أنه إذا كان قول ما (ق 1) مستعمل من قبل متكلم ليخدم نتيجة (ن) فإن نفيه أي (قَ2) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة** »[2].

ومثال ذلك: ق1: هذا كتاب مفيد ⟵ ن: اشتره.

ق2: هذا الكتاب غير مفيد ⟵ ن: لا تشتره.

2.1.1.3.3. قانون القلب:

يرتبط هذا القانون عند "**ديكرو**" بالمفهوم السابق "**ويعد تتميما له**"[3] ومفاده أنه إذا كان (ق2) أقوى من (ق 1) في الدلالة على النتيجة (ن)،فإن نفي (ق 1)، سيكون أقوى من نفي (ق2)،أي (ق2) في الدلالة على عكس النتيجة أي (ن)[1].

1- طه عبد الرحمن : اللسان والميزان ، أو التكوثر العقلي ، ص 277 .

2- أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ص 26 .

3- كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه،ص 142.

ولتوضيح ذلك نورد المثال الأسبق كما يلي :

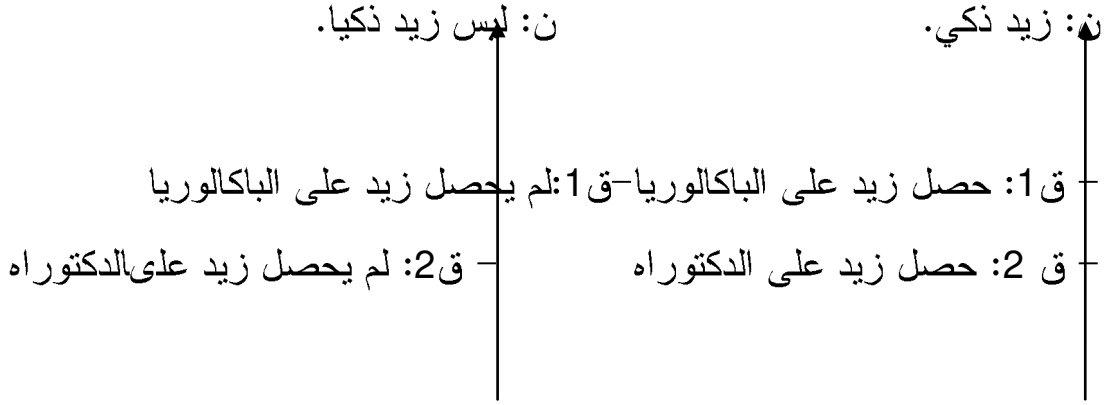

3.1.1.3.3.قانونالخفض:

يسميه "**ديكور**"«**بقانون الانخفاض، و معناه أن القول (ق)المنتمي إلى قسم حجاجي تحدده(ن) يكون نفيه أي (~ق)أقل منه**»[2]. فعندما نقول:**ليس الطقس بارد**افإننا سنكون في مرتبته يكون فيها **الطقس أقل من البارد** ،ومن ثم يكون السلم الحجاجي على الشكل التالي:

1- المرجع نفسه، ص نفسها.

1- DucratOsuvld، les échelles argumentatives، نقلا عن كمال الزماني حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام على رضي الله عنه , ص 143.

2- المرجع نفسه،ص 144.

نستخلص من خلال ما سبق إلى أن الحجاج عند "**ديكرو**"حجاج صافي يرتبط ارتباطا وثيق باللغة فالأقوال التي ينتجها المتكلم المتلقي نحو نتيجة معنية أو صرفه عنها.

يقول "**ديكور**": «**إن القيمة الحجاجية لقول ما ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب،بل إن الجملة،بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير وصيغ،بالإضافة إلى محتواها الإخباري،فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول و توجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك**»[1]وهذا توجيه مبني على ما في الكلمات من قوة مستمدة من سلطة اللغة نفسها،لا على منطلقات استدلالية منطقية بحثة.

4.3.4 .الأدواتاللغوية:

1.4.3.4. الروابط الحجاجية:

1 – ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص23.

الرابط الحجاجي مورفيم من صنف الروابط (حروف العطف،الظروف)فهو يربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر،في إطار استراتيجيةحجاجية واحدة،[1]وللروابط وظيفيتان[2]:

– تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر.

– تخدم دورا حجاجيا للوحدات الدلالية التي تربط بينها فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر و تسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجيةالحجاجية العامة،ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات الآتية {بل،لكن، إذن،لأن،بمأن،إذ} ففي المثال الآتي:

–**زيد مجتهد،إذن سينجح في الامتحان.**

–نجد أنه يشتمل على حجة هي (**زيد مجتهد**) ونتيجة مستنتجة منها **(سينجح)**،وهناك الرابط**(إذن)**الذي يربط بينهما.

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط:[3]

ـــــ الروابط المدرجة للحجج(حتى، بل،لكن،مع ذلك ،لأن...)

– الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، بالتالي...)

–الروابط التي تدرج حججا قوية(حتى، بل، لكن)

–روابط التعارض الحجاجي(بل،لكن،مع ذلك)

–روابط التساوق الحجاجي (حتى،لاسيما)فقولنا :

–جاء زيد.

–حتى زيد جاء

1– قدور عمران : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني،ص 37

2– المرجع نفسه، ص 37 ،نقلا عن Dominique mainguenea pragmatique pou le discours littéraire

3 ابو بكر العزاوي : الحجاج في اللغة ، ص 27.

القولان يخدمان نتيجة واحدة،ولكن في المثال(حتى زيد جاء) يقدم معلومة جديدة (مجيء زيد غير متوقع) فدورالرابط تمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة في المثال الأول،فالحجتان ،وإن كانت تخدمان نتيجة واحدة إلا أن درجة القوة الحجاجية متفاوتة بينهما.

-أما "**بل**" فتساعد المرسل في ترتيب الحجج في السلم، ومن ميزاتها تعاكس حججها فمنها المنفية ومنها المثبتة، و مثال ذلك ما يحتج به شخص متهم بالكسل في عمله :«**لم أتقاعس عن العمل،بل اجتهدت فيه** »فالمرسل رتب حججه وفق سلم معين مستعملا في ذلك الأداة " **بل**" التي تملك ميزة الانتقال من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة أعلى.

- و أما "**حتى**" فتؤدي دورا هاما في ترتيب منزلة العناصر،لمالها من سلمية فيما يخص معانيها واستعمالاتها ،فمنها "حتى الجارة" التي تعني انتهاء الغاية،وعلى المرسل التأكد من تحقق شروط مجرورها في التركيب و هي:

1-أن يكون المجرور ظاهرا في الغالب.

2-أن يكون آخر جزء أو ملاق لآخر جزء،و أن يكون المجرور بها داخل فيما قبلها على الغالب ،و أن يكون الانتهاء به أو عنده [1]،مثل قولنا:«**لقد قصصت الرواية حتى نهايتها**»

ونجد ما يعرف أيضا ب«حتى العاطفة»و فيها أيضا مراعاة لشروط المعطوف و من أدوات السلم الحجاجي أيضا القصرب " **إنما**" ويذهب "**السكاكي**" في إيراد السبب في إفادة "**إنما**"معنى القصر"**هو تضمينه معنى :ما وإلا... و يرى أئمة النحو يقولون«إنما تأتي إثباتا لما يذكر بغرض و نفي لما سواه**»[2]،و مثال ذلك :«**إنما أنا عامل بسيط**».

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 512.

2 - ابو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ، اغليق العلوم ، تعاتم نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ،1987ص291 .

2.4.3.4.درجاتالتوكيد:

للتوكيد درجات ثلاثة تستعمل في إنتاج الخطاب الخبري،ويصنفها " **السكاكي**" وفق سياقات ثلاثة:[1]

- الخبرالابتدائي.
- الخبرالطلبي .
- الخبرالإنكاري.

فالخبرالابتدائي لا يستعمل أي نوع من أدوات التوكيد، لأن ما يقدمه المرسل هو بمثابة المسلمات المتفق عليها بالإجماع، مما يجعل خطابه غني عن المؤكدات

أما الخبر الطبي، فيعمد فيه المرسل إلى التوكيد، بهدف تحفيز المرسل إليه إلى القيام بالدعوى المفتوحة،غير أن الخبر الإنكاري هو الذي يعمد فيه المرسل إلى تعزيزه،بأدوات التوكيد كالقسم، واللام المؤكدة، لتثبت صدقه وتبعد شك وإنكار المرسل إليه .

3.4.3.4.السمات الدلالية:

ولأن السلم الحجاجي يعود في ترتيب حججه والمفاضلة بين قواها إلى رؤية المرسل، فإن الحجة واحدة قد ترتقي إلى أعلى السلم من وجهة نظر معينة، كما قد تدنو إلى أدنى السلم حسب وجهة نظر أخرى، وهذه من مميزات السلم الحجاجي، في إيجاد العلاقة المجازية بين مكوناته، وتمثيلها، فقد يتعاكس المرسلان في الخطاب الواحد، ومن جهة أخرى ، فقد لا ينتج السلم الحجاجي في طبقات متراصة في الخطاب الواحد، بل قد تكون هذه الطبقات مخزونة في ذهن المرسل، وفي ذهن المرسل إليه، وفقا لتماثلها في القدرة اللغوية وبالتالي إلى حد ما في الكفاءة التداولية التي يعتمد عليها كل منهما في التخاطب وعليه يعمد المرسل إلى الحجاج بالتلفظ بإحدى هذه القوى ، أي

1السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 170 ، 171.

الدرجات الحجاجية التي تعبر عن قضية واحدة، إذ يمكن صياغة خطاب الحجاج سلميا بأكثر من شكل، فإذا كانت القضية التي يريد المرسل أن يقنع المرسل إليه بها، هي [1]:

-الحث على استعمال السواك .

فإنه قد يعمد إلى أكثر من خطاب حسب السياق، وكل خطاب ينتمي إلى درجة من السلم الحجاجي، مثل : صياغته حسب الشكل الخبري في الخطاب التالي :

-السواك مرضاة للرب، مطهرة للفم.

أو بالاستفهام المتبوع بالفاء السببية،مثل :

-أليس السواك مرضاة للرب،مطهرة للفم.

أو بالشرط المتبوع ب فلء الجزاء، مثل: **مادام السواكمرضاة للرب مطهرة للفم فلنستعمله، أو (بما أن ــ إذن).**

ويظل القصد الأساسهو الحث على استعمال السواك في كل خطاب، بيد أن المرسل يستعمل لذلك درجات متفاوتة، إذ يعمد في الخطاب الأول إلى الإخبارأما في الخطاب الثانيفإنه يعمد إلى إدخال الاستفهام على الجملة المنفية، وليس المعني الحرفي هو القصد في الاستفهام، وإنما القصد هو تقرير ما جاد بعد النفي ومعناه « **حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرقد استقر عند ثبوته أو نفيه**» [2]،واثق بأن الجواب المفترض عند المرسل إليه هو بلى السواك...وهو ما يجعل استعمال الخطاب بهذه الصورة أقوى حجاجيا،أما في الخطاب الثالث فقد صاغ الحجة بطريقة تفيد العلية فتبرز استناد الربط مع النتيجة إلىما ينزل منزلة المتفق عليه بين المتخاطبين[3].

1ينظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ،ص 522-523.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري :استراتيجيات الخطاب ، ص 523 .

3- المرجع نفسه ، ص 523.

والمعول عليه في اختيار المرسل لأحد هذه الخطابات دون غيرها من الخطابات الأخرى هو المعرفة بالسياق، والمعرفة الخاصة بحال المرسل إليه ودرجة ثقافية ومدى قبوله لفعل الحث، وما يستدعيه ذلك لتحصيل الاقتناع لديه بما يدعو إليه المرسل.

4.4.3.4.الإحصاءات :

وهي من التقنيات الحديثة في الحجاج، غالبا ما تستعمل لتقوية الحجة، إن هذه الآلية تشترط عدم توظيفها على أنها أرقام جوفاء،أوأن تكون ذات مرجعية ضعيفة خاصة حينما يظهر ضعفها أثناء الاحتجاج، وأن لا تكون استعمالاتها محاولة في السعي وراء إقناع الناس بما لا يقنع، أو بما يصعب على العاقل الاقتناع به ،ومن أمثلة ذلك. «إن نسبة السكان بعد الاستقلال في ازدياد مستمر، حيث أشارتالإحصاءات إلىأن نسبة السكان 34% في هذهالمرحلة...، فيحين كانت 20% فقط قبل...».

فالمخاطبلا يحتاج إلى حجج لإقناع المخاطب،فهذه الإحصاءات كفيلة بإقناعه.

ولذا فإن توفر الإحصاءات في منطقها، وسياقها الصحيح، قد ي غنينا حقيقة عن محاولة البحث عن الحجج المقنعة، لأنها في حد ذاتها تدفع المتلقي إلى الاقناع والتسليم دون اعتراض

5.3.4. آليات السلم الحجاجي :

إن ما تقدم ذكره لا يعكس بالضرورة ترتيب الحجج في سلم واحد ، لأنه في الإمكان أيضا ترتيب الحجج باستعمال بعض الصيغ الصرفية ، وتوجيهها وجهة إقناعيه .

1.5.3.4-التعدية:

«هي ترتيب الأشياء في سلم، بعقد العلاقة بينها، رغم عدم وجود هذه العلاقة قبل التلفظ بالخطاب »[1]

1حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته ،ج1،ص117.

1.1.5.3.4. أفعل التفضيل:

ومن ذلك استعمال أفعل التفضيل في الإثباتات وتعريفه :« **اسم مشتق على وزن أفعل يدل-في الأغلب-على أن شيئين اشتركا في معنىوزاد أحدهما على الأخر فيه، فالدعائمأو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي في أغلب حالاته ثلاثة:**

-صيغته أفعل، وهياسم مشتق.

-شيئان يشتركان في معنى خاص.

- زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص،ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمرا حميدا أو ذميما».[1]

فالخطاب قد يكون مدحا، كما قد يكون ذما، و باستطاعة المرسل أن يستعمل الأمرين في حجاجه وفق ثلاث صيغ هي:

-المجرد من "أل" و الإضافة.

-المقترن ب"أل"

-المضاف.

- فمن أمثلة الصيغة الأولى نجد «**الحرص أفضل من التهور**».

- ومن أمثلة الصيغة الثانية،هي:"**المقترن بأل**"كما في "**طعامنا الأفضل**".

- أما مثال الصيغة الثالثة فعلى نحو"**المتفوقون اجدر الناس بالعطلة** ".

ولأفعل التفضيل دور حجاجي باعتبارهيتضمن صيغ تمكن المرسل من إيجاد العلاقة بين أطراف لا تربطها أية علاقة،كما يمكنه ترتيب الأشياء ترتيبا معنيا فلولاه ما كان لها أن ترتب،لهذا يصنفه"**ببرلمان**" في حجج التعدية.[2]

1عباس حسن : النحو الوافي ،ج3، ص 395.

عبد الهادي بن ظافر الشهري :استراتيجيات الخطاب ،ص 528.

2- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

2.1.5.3.4 .القياس الضمني:

يعتبر هو أيضا من تجلياتها في الحجاج،يصفه " **أرسطو**" بالضمير [1] مثل :«**توفي الدكتور سامي بسكتة قلبية رغم انه مختص في أمراض القلب**» فالنتيجة الحجاجية المضمرة أنه كل من ينتمي إلى البشر معرض للموت.

3.1.5.3.4.صيغ المبالغة:

صيغ المبالغة آلية من الآلياتالصرفية،يستعملها المرسل حتى يعبر بها عن درجة الحجة التي يريد أن يعبر بها في خطابه باعتبارها تفيد الكثرة و المبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي مالا تفيده إفادة صريحة صيغة :فاعل {....}و أشهر أوزانها خمسة قياسية هي:فعال،مفعال،فعول،فعيل،فعل...و هناك بعض الصيغ القليلة المقصورة على السماع عند القدماء،أشهرها من الفعل الماضي الثلاثي فعِل[2]

و تكمن حجاجية صيغ المبالغة باعتبارها أوصافا تتطلب فعلا معينا فالحجاج لا يهتم بالتصنيف فحسب،بل دلالة هذا التصنيف.

مثال:"**هذا كذاب فعاقبوه**"فالمخاطب هنا استعمل وزن "**فعال**" "**كذاب**" بغية طلب العقاب لا لأجل تبيان درجة تكرار الفعل فحسب.

6.1.3.5.4 حجة الدليل:

تتمثل في الحجج الجاهزة أو الشواهد هي من دعامات الحجاج القوية ، اذ يضعها المخاطب في الموضع المناسب،وهنا تتبدى أهليته وبراعته في توظيفها بحسب ما يتطلبه السياق ويمكن تصنيفه ا في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية فهي

1- ارسطو :الخطابة،ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي ،وكالة المطبوعات ،الكويت ،دار القلم ،بيروت ،1979م،ص148.

2- حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته،ج1،ص128.

ليست من إنتاج المخاطب بقدر ماهي منقولة عن لسانه ونقلها عن لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية،إذ يكمن دوره في توظيفها التوظيف المناسب في خطابه وبهذا فهي تعلو الكلام العادي درجة،مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ماهو أرفع .[1]

وتتصدرها الأدلة الدينية فيستعملونها وفق ترتيب معين يتصدره القرآن الكريم لما له من أثر في قلوب العامة، ويتلوه حديث المصطفى – **صلى الله عليه وسلم**–لثقتهم في قدرة هذه الأدلة ومدى استطاعتهما على دعم الحجة وتقويتها.

وقد يستعين المرسل بالحكم باعتبارها وسيلة حجاجية صادقة، وتأثير قوي، فضلا عن أنها منتجة لخطاب مقنع.ويعد المثل حلقة تصل الحاضر بالغائب، لقرينه مشتركة بينهما ومن خصائصه، أن له طابعا إقناعيا برهانيا، لأنه يساق للإقناع ويرد حجة، ودليلا على صدق مساعاه، وصحة دعواه وليس الخطاب النثري فقط من له حق استعمال الحكمة والمثل، فللجنس الشعري نصيب في ذلك أيضا، وكثيرا ما يتحول البيت الشعري في حد ذاته إلى قول مأثور، أو دليل، وشاهد يندرج ضمن تركيب الخطاب الحجاجي.

واستنادا إلى ما سبق يتضح لنا توفر تقنيات عديدة في الحجاج، تمكن المرسل من أن يتوسل بها في خطابه، حتى يتسنى له الوصول إلى ذهن المتلقي، واستهلاله بشتى الطرق، والأساليب الممكنة، وأنه لابد أن يدقق في اختيار التقنيات التي تتماشى مع مستوى المتلقي وخلفياته المعرفيةوالاجتماعية ليتمكن منإصابة الهدف من أقرب مرمى.

1– حافظ اسماعيلي علوي الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج1،ص

1. التعريف بالسورة:

القرآن الكريم عالم واسع مترامي الأطراف، وبحر خضم في أحشائه الدر كامن، ومنهل عذب يرده كل صاحب حاجة، وورد صاف يجد فيه الملهوف مراده، ويحقق هدفه.

إن كل سورة من سوره ترسم لنا سبيلا مضيئا، وكل آية من آياته تخط لنا دربا منيرا، وكل كلمة من كلماته تنقش لنا زخرفا عظيما، وكل حرف من حروفه تقربه عيوننا، وتطرب له أسماعنا، وتتغنى به ألسنتنا، وتطمئن به قلوبنا، وتثبت به أفئدتنا.

وسورة هود عليه السلام كغيرها من سور القرآن الكريم وهي إن شيبت الرسول – صلى الله عليه وسلم – تحمل بين طياتها الروعة والبهاء، وتخفي في باطنها البلسم والشفاء، ويستقر في احشائها نور واضح، وبرهان ساطع، قال أبو بكر – **رضي الله عنه**–: يا رسول الله قد شبت قال: "**شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات**" ، ابتدأت السورة الكريمة بتمجيد القرآن العظيم، الذي احكمت آياته، فلا يتطرق إليه خلل، ولا تناقض، لأنه تنزيل الحكيم العليم، الذي لا تخفى عليه خافية من مصالح العباد...، ثم عرضت لعناصر الدعوة الإسلامية عن طريق الحجج العقلية، مع الموازنة بين الفريقين: فريق الهدى، وفريق الضلال، وضربت مثلا للفريقين وضحت به الفرق الهائل بين المؤمنين والكافرين، وفرقت بينهما كما تفرق الشمس بين الظلمات والنور " **مثل الفريقين كالأعمى والاصم، والبصير والسميع هل يستويان مثلا؟ أفلا تذكرون**"[1]

ثم تحدثت عن الرسل الكرام مبتدئة بقصة " **نوح**" – **عليه السلام**– أب البشر الثاني، ثم ذكرت قصة " **هود**" – **عليه السلام** – الذي سميت السورة الكريمة باسمه، تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله، فقد أرسله الله تعالى إلى قوم " **عاد**" العتاة المتجبرين،

1 - الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سنت الترمذي، تفسير القرآن، مج 12، من سورة هود، رقم الحديث (3297)، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط1، ص 744.

الذين اغتروا بقوة اجسامهم، وقالوا من أشد منا قوة؟، ثم تلتها قصة نبي الله " **صالح**" ثم قصة "**لوط**" ، ثم قصة " **شعيب**"، ثم قصة " **موسى وهارون**"، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، ثم جاء التعقيب المباشر بما في هذه القصص من العبر والعظات في إهلاك الله تعالى للظالمين.[1]

وختمت السورة الكريمة بيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين وذلك للاعتبار بما حدث للمكذبين في العصور السالفة، ولتثبيت قلب النبي أمام تلك الشدائد والأهوال.

2. الأدوات اللغوية:

1.2. ألفاظ التعليل:

تعتبر ألفاظ التعليل من بين أهم الأدوات الحجاجية التي يستخدمها المخاطب في حجاجه، تبريرا لفعله أو تعليلا له، ومن ذلك استعمال لام التعليل في قوله تعالى: « **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** » (7/11)

«**أي ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق السموات والأرض إلا لحكمة بالغة ليختبركم فيظهر المحسن من المسيء ويجازيكم حسب أعمالكم** »[2] فقد جاء هذا التعليل كمقدمة لنتيجة ضمنية هي ان الله سبحانه وتعالى لم يخلقكم إلا لسبب واحد وهو عبادته وتوحيده، وفي هذا رد ضمني على من ينكر الحكمة من الخلق ويعتبرها مجرد عبث، ليس بعده حساب ولا عقاب.

1- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان مج2، ط4، 1981م ، ص5.

2- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص.

ومن صور التعليل الأخرى توظيف المفعول لأجله في قوله تعالى: «**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**» (12/11)

«**أي لأجل ان يقولوا هلا أنزل عليه مال كثير ... أو جاء معه ملك يصدقه كما اقترحنا**»[1] فقد أراد الله أن يبين لمحمد – صلى الله عليه وسلم – ما بعث لأجله وهو تبليغ الرسالة لا هداية الناس، فما هو إلا نذير يخوف المجرمين أما شؤونهم فإلى الله الوكيل، ولما أراد الله أن يثبت في نفس نبيه هذا المعني، وظف المفعول لأجله (أن يقولوا) ذي الخاصية التعليلية والبعد التبريري، لأن أدوات التعليل لا تستعمل إلا تبريرا للفعل او تعليلا له بناء على سؤال ملفوظ به او مفترض وتبلغ ذروة آدائه الحجاجي حين يرد في الخطاب بوصفه المصدر الذي يدل على سبب ما قبله (أي بيان علته) ويشارك عامله في وقته وفاعله.[2]

2.2. الصفة:

تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمخاطب في خطابه، وذلك بإطلاق المخاطب لنعت معين في سبيل إقناع المخاطب.[3]

2.2.1. الوصف بالألقاب:

1- المرجع نفسه، ص 09.

2- ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 80.

3. عباس حسن : النحو الوافي، ج3، ص 238.

وتأتي الألقاب في مطلع الصفات التي يمكن أن تختزل درجة الحجاج مصل ألقاب القرابة والانتماء والألقاب الاجتماعية وغيرها، ومن الالقاب الغالبة على سورة هود استعمال الأنبياء للفظ " **قوم**" في مقام دعوة أقوامهم وجاءت في سورة هود كالأتي :

قال نوح :«**وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ اللَّهِ...**» (29/11).

قالهود :«**قَالَيَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**»(50/11)

قالصالح :« **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ** ...» (61/11)

فلفظة (**قوم**) لم تستعمل في هذا الخطاب لتكون علامة على صلة القرابة بين الانبياء وأقوامهم فحسب، بل ليبني عليها المرسل حجج معينة، على الرغم من انها تشكل حججا في حد ذاتها، مما يكسب الخطاب كثافة حجاجية، ولذلك أدى النداء في سورة هود دورا تداوليا حجاجيا بالنظر إلى ما كان يرتب بعده من حجج، كقوله تعالى : إخبارا عن نبيه "لوط" وهو يدفع السوء عن ضيفانه « ...**قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**»(78.11)

فقد رتب ما بعد النداء على اعتبار الحجة التي قبله فكأنه أراد أن يقنعهم بشناعة فعلهم المخالف للفطرة، البعيد عن كل ذوق سليم.

3.2.1. الوصف باسم الفاعل:

وهو مما يستعان به أثناء التحاجج لما له من خاصية إثبات الحكم والصفة لمن يعود عليه، ولذلك قيل فيتعريفه:« **إنه اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث، وعلى فاعله**»[1] فقد تضمن في تعريفه شرطين وهما دلالته على معنى مجرد حادث، أي غير مقترن بزمن، ولا ملازم لصفة صاحبه، وإن أخبر عنه، وهذان الشرطان هما ما يكفلان له خاصيته الحجاجية، فكأنه بما يؤديه من وصف حامل لمعنى الحجة في حد ذاته، ولذلك امثلة كثيرة في سورة هود، ومنها على سبيل الذكر.

قال الله تعالى:«**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**»(42/11، 43).

فقد مُهد للوصف باسم الفاعل (**لا تكن مع الكافرين**) بوصف المقام، وما فيه من مظاهر الخراب، فشبه الأمواج التي كانت تتلاعب بسفينة نوح في عضمها وضخامتها بالجبال، ثم أردف هذا المشهد، بتحاور مؤثر بين أب مشفق وابن معاند، وقد كان الوصف باسم الفاعل أعلى درجات الحجاج لما شكل من ربط آلي بين الهلاك واستحقاق الوصف.والشكل الأتي يوضح لنا ذلك :

الكافرون ⟵ غير الراكبين في السفينة.

المؤمنون ⟵ الراكبون في السفينة.

كما استغل نوح ما في اسم الفاعل من قدرة على الإقناع حين وظفه في مطلع جوابه لابنه، دون أن يمهد له، حتى ينفي عن ذهن ابنه وجود أي مسلك من مسالك النجاة سوى

1. عباس حسن : النحو الوافي، ج3، ص 238.

السفينة، قال:«**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ** ...»(43/11).

و قد ترتب عن هذين الوصفين مآل محتم يمكن اعتباره نتيجة كبرى تظهر في قوله تعالى :«**فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**».

4.2.1. الوصف باسم المفعول:

وهو من حيث طبيعة حجيته كاسم الفاعل، ولذلك ورد في تعريفه أنه «**اسم مشتق يدل على معنى مجرد غير دائم، وعلى الذي وقع عليه الفعل**»[1].

ومن الأمثلة التي تجلي طبيعة اسم المفعول الحجاجية، و الذي ارتأينا أن نقتصر عليها قوله تعالى في مقام تحدي مشركي مكة.

«**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**»(13/11).

فاستعمال اسم المفعول في الآية ليس إلا لأجل مجاراة المشركين في دعواهم، لإبطالها وهو حجاج في غير جنس التحاجج، لأنه لم يتحداهم في أن يأتوا بالقرآن بل تحداهم في أن يأتوا ولو بما ليس كفء له جريا على زعمهم ،وهذا ما عبر عنه قوله تعالى :« **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ** »

2.2. الأفعال اللغوية:

1. عباس حسن: النحو الوافي، ج3، ص271.

1.2.2.الاستفهام:

لقد اتفق الباحثون قديمهم و حديثهم على أن العمل الأساسي الذي ينجز بالسؤال هو عمل الحجاج، وهو دلالة قاطعة على أن الاستفهام يختص دون بقية الأعمال بأداء وظيفة ما قد ندرك قيمتها بالتأمل في قيمة العمل الحجاجي في المخاطبات العامة، كما توصل الباحثون إلى أن في قيمة الاستفهام الحقيقي أم الاستفهام غير الحقيقي (السؤال البلاغي)[1].

بمعنى أن الاستفهام يحمل افتراضات ضمنية (غير مصرح بها) تجعله يحمل طاقة حجاجية، إذ يرى (ديكروانسكومبير) أن الغاية من الاستفهام تتمثل في أن نفرض على المخاطب به إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ على الاستفهام، فيتم توجيه دقة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد، فالاستفهام يأتي في الكلام لإجبار المخاطب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الإستفهاميالإقتضائي[2].

أما أساليب الاستفهام في سورة هود – عليه السلام – فقد تعددت، حيث ورد هذا الأسلوب في ثلاثة و عشرين موضعا، كما تنوعت أغراضه حسب الموقف الذي ذكرت فيه ما بين أمر و إنكار، أو تعجب و تقرير، أو تهكم و تنبيه، أو نفي و تكذيب، و المتتبع للموافق في سورة هود يدرك ذلك و يتضح الأمر أمامه جليا.

ومن أساليب الاستفهام في السورة قوله تعالى:«**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**»(14/11).

1. ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، في كتاب الإمامة السياسية لابن قتيبة، دراسة تداولية، أطروحة دوكتوراه، جامعة باتنة 2010/2009م، ص304.

2. المرجع نفسه، ص 308 .

و غرض الاستفهام هنا الأمر، ففي قوله تعالى: « **فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**» لفظة استفهام، ومعناه أمر أي: فأسلموا. بعد ظهور هذه الحجة القاطعة، غذ لك بيق لكم عذر في ذلك.[1]ويظهر أيضا في قوله تعالى: « **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**»(24/11)

فإن الاستفهام في قوله: « **هَلْ يَسْتَوِيَانِ** » إنكاري "أي: لا يستويان، فليس حال من يبصر نور الحق، ويستضيء بضيائه كحال من يخبط في ظلمات الضلالة، ولا يهتدي إلى سبيل السعادة.

أما الاستفهام في الآية ذاتها في قوله: "أفلا تذكرون" غرضه «**الإنكار والتقريع**»[2] أي أفلا تعتبرون وتتعظون، وهذا السؤال جاء ليؤكد ماسبقه من الحجج.

3- الآليات البلاغية:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصور البيانية والأساليب الجمالية، أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره حتى يتقبل قضية ما.

1.3- التشبيه:

إن القرآن الكريم زاخر بالتشبيهات، فهو يهدف من خلال استخدام التشبيه إلى التصوير والتأثير معا، بحيث تمثل أمامنا الصورة البيانية كأنها مرئية، فإننا نلمح الدقة والتحديد في اختيار الألفاظ الموحية والمؤثرة، كما نلمح قوة العاطفة وحرارتها وتنوعها، وبعيدا عن المقارنة بين تشبيهات القرآن والتشبيهات الأخرى، فإن التشبيهات القرآنية

1. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص11.

2- المرجع السابق ، ص12.

مطبوعة وليست مصنوعة، مؤثرة في العواطف الإنسانية في كل الأمكنة وفي جميع الأزمنة، ويظهر في سورة هود في قوله تعالى: نَ. « **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ**»(42.11)

والمراد هنا موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها [1]، وإذا تمعنا في الآية الكريمة ندرك للوهلة الأولى أن التشبيه لم يقف عند مجرد إظهار المشابهة، بين الموج والجبال في الضخامة والارتفاع بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية، وتعمقاتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة، وألوانا ناطقة، وأصواتا مسموعة، وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، وتجسمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وفي هذا كله حجاج يكمن في توضيح المعنى وتقريبه إلى ذهن الملتقي، وإن كانت هذه الصورة لم تؤثر في ابن نوح وتدفعه إلى أن يركب سفينة النجاة، إلا أن في ذلك محاولة لإقناع غيره من الكفار والمشركين ليعتبروا من قصص الأمم السابقة، فالتشبيه الحجاجي في هذه الآية ينقل المتلقي من السياق الخاص إلى السياق العام الذي يعد مؤثرا ضروريا في فهم المعنى أي ما سلط على قوم نوح من هلاك وعذاب حين ظلوا عن الحق ليس ببعيد عنكم.

أما التشبيه الضمني فيتجلى في قوله تعالى : «**أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**».(11-20)

و«**التشبيه الضمني هو الذي لا يصرح" بركنيه المشبه والمشبه به بل يعرف من فهم معنى الكلام وسياق الحديث، أي أن المشبه والمشبه به لا يذكران بل يلمح إليهما**

1- ينظر: الصابوني : صفوة التفاسير، مج2، ص 15.

تلميحا في التركيب، وهذا النوع من التشبيه يؤثر به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن».[1]

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يوحي بالتشبيه دون أن يصرح به فهو لم يقل:« **إن هؤلاء المشركين، كانوا صما عن سماع الحق، عميا عن إتباعه**»[2] ولكن أتى هذا ضمنيا، والحكم الذي أسند إليه المشبه ممكن، فقد شبههم في فرط تصامهم عن استماع الحق و نبوا أسماعهم عنه بمن لا يستطيع السمع، فحالة هؤلاء الكفار في رفضهم للحق، تشبه حالة الأعمى والأصم، فمأتى الحجاج في التشبيه الضمني أنه قياس خطابي على مقدمات

ويقضي إلى نتيجة، ويمكن أن نرمز له بالمخطط التالي:

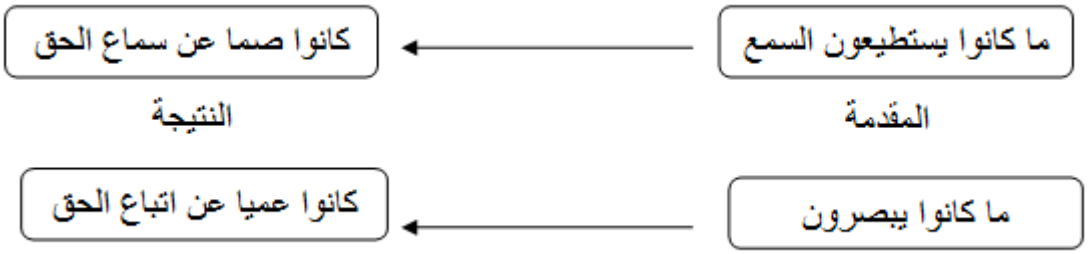

وبهذا نلاحظ حجاجية التشبيه الضمني، فالمتلقى إذا سلم بالمقدمات يقبل النتائج، وهو ما يجعل هذا التشبيه يحتل منزله تعلو منزلة الكلام العادي [3]، فهو أنفذ في النفوس والخواطر لاكتفائه بالتلميح مما يزيد من قوة تأثيره.

1- حميد آدم ثوبي: البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، ص 275.

2- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسي، ص 11.

3- ينظر : سامية الدريدي: الحجاج في العربي القديم، ص 262.

2.3.التمثيل:

يرى **بيرلمان** أن لا أحد يمكنه إنكار دور التمثيل في توجيه الذكاء، هذا الدور الذي اعتنى به الفلاسفة منذ القديم، وجعلوه سببا في تبريرهم لتوظيفات التمثيل الحجاجية واعتباره وسيلة برهنة واستدلال أكثر من كونه وسيلة خلق وإبداع.

« ولذلك فهو يرى أنه يجب على أية دراسة حجاجية أن تعطيه المكانة التي يستحقها باعتباره عنصرا مهما من عناصر البرهنة والتدليل، فهو ذو قيمة حجاجية لا تبرز بشكل جلي إلا حينما ننظر إليه باعتباره تماثلا قائما على المشابهة بين البنى، حيث تكون صيغته العامة هي: يمثل العنصر (أ) بالنسبة للعنصر (ب) ما يمثله العنصر (ج) بالنسبة للعنصر (د)»[1]. وبعبارة أخرى فإذا "كان التشبيه يقوم على علاقة متشابهة فإن التمثيل يقوم على تشابه علاقات.[2]

ولتوضيح ما يقصده بيرلمان بهذه الصيغة نورد ما جاء عن التمثيل، في سورة هود عن قوله تعالى: « **وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**».(89/11).

«أي لا تكسبنكم عداوتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، أي يصيبكم العذاب كما أصاب قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح وقوم صالح بالرجفة، وقال الحسن المعنى: لا يحملنكم معاداتي على ترك الإيمان فيصيبكم ما أصاب الكفار، وما قوم لوط ببعيد، أي ما ديار الظالمين من قوم لوط بمكان بعيد أفلا تتعظون وتعتبرون!؟".[3]

1- ينظر : كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص 127.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، ص 127.

3- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص 30.

ويمكن الترميز لهذه العلاقة الحجاجية كالآتي:

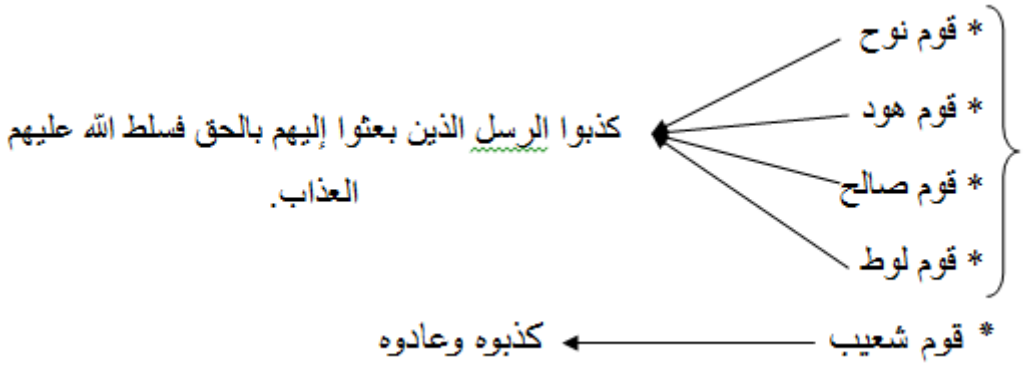

النتيجة :إن لم تتولوا عن المعاصي سيصيبهم العذاب مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط.

فالعلاقة بين هذه العناصر ليست علاقة مشابهة، وإنما تشابه علاقات ذلك أن علاقة قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، في معاداتهم لرسلهمتشبه علاقة شعيب مع قومه، فشعيب عليه السلام في هذه الآية يريد أن يقنع المشركين أنهم إذ لم يؤمنوا بما أنزل عليه سيصيبهم العذاب مثل ما أصاب الأمم التي سبقتهم.

وقولهتعالى أيضا:

«**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء، قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ**"» (43/11).

فقد أسند اسم الفاعل " **عاصم**" إلى المفعول"**يعصمني**" بمعنى لا معصوم ومحفوظ من الغرق، إلا الذي رحمه الله ونجاه على طريق المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية وقرينته الاستحالة العقلية، لأن الإنسان معصوم لا عاصم، إذ العاصم والحافظ من الغرق هو الله القوي القادر وفيها خذلان الضالين، والتهكم من الكافرين المعاندين.

فقد كان تصور ابن نوح قائما على أن العصمة من هذا العذاب ممكنة، في حين أدى إسناد اسم الفاعل " **عاصم**" إلى المفعول " **معصوم**" إسنادا مجازيا عقليا إلى انتقاء العصمة من كل وجه متصور، « **لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ**»، أي قال له أبوه نوح: «**لا معصوم اليوم من عذاب الله ولا ناجي من عقابه إلا من رحمه الله**».[1]

3.3. الاستعارة:

قد يقف المفهوم التقليدي المتوارث عليه للاستعارة عائقا دون تمثل أبعاد هذا الضرب من الكلام حجاجيا، لأن المستقر في أذهان أكثر المتعاملين مع اللغة العربية، أن الاستعارة تدل على معنى مجازي بعيد عن تحقيق غايات أخرى أكثر ظهورا في الخطاب، إلا أن المتأمل في طبيعة الصورة الاستعارية ودورها في إيصال المعنى يدرك بجلاء ما للاستعارة من قوة ضغط على المخاطب للإقناع والتأثير فيه، يقول الجرجاني: «**فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه كان موضعه من الكلام اضمن به، وأشد محامات عليه وأمنح لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر بالتشبيه فأمر التخييل فيه أقوى، ودعوى المتكلم له أظهر وأتم**».[2]

ويتجلى البعد التداولي للاستعارة في أنها عملية ذهنية قوامها التقريب بين موضوعين من أجل التأثير والإقناع، انطلاقا من إثارة انتباه المتلقي إلى ما تحققه من غرابة وانحراف عن العادي والمألوف فالاستعارة حجاجيا راجعة إلى أصل واحد وهو أن يعدل عن "ب" التي هي معلومة جديدة إلى "أ"، والتي هي معلومة قديمة، إذا كانت "ب" تمثل إجمالا حكما هو موضوع اعتراض بطريقة أو بأخرى.[2]

1- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، ص 11.

2- ينظر: حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته،ـــ ص 41.

وفي سورة هود يتجلى مثل هذا التبادل الصوري في قوله تعالى: « **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ**» (100/11).شبه الله سبحانه وتعالى« **ما بقي من آثار القرى وجدرانها باالزرع القائم على ساقه، وشبه ما هلك مع أهله ولم يبق له أثر بالزرع المحصود بالمناجل**».[1]

ويمكن التمثيل لهذا القول الاستعاري بالشكل التالي:

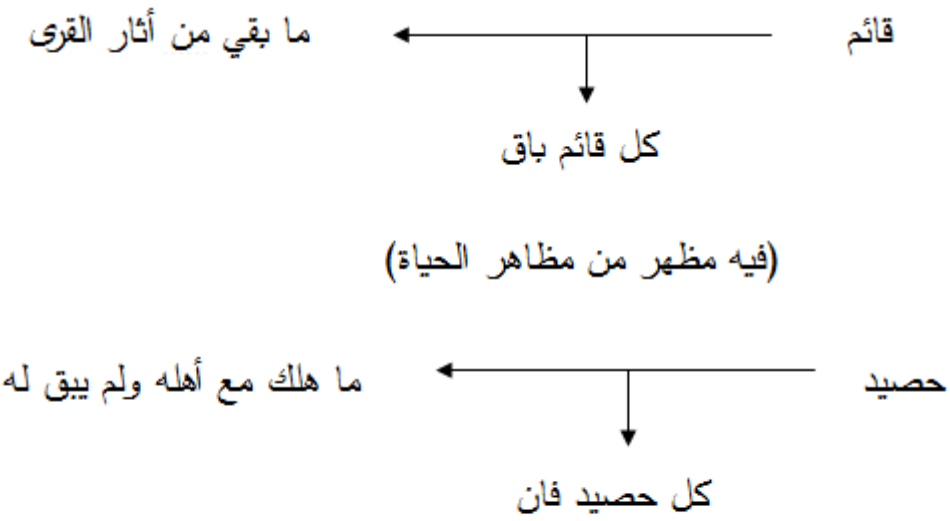

ومما سبق نستخلص أن أسلوب الاستعارة أقوى وأبلغ من أسلوب الحقيقة، حيث قال الرماني: «**وكل استعارة حسنة فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كانت تقوم مقام الحقيقة لكانت أولى به، ولم تجر الاستعارة وكل استعارة فلابد لها من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة**».[2]

ففي مثل قوله تعالى: « **وَأَخَذَالَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**»(67/11).

1- ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص 33.

2- الموقع الإلكتروني، الاستعارة في القرآن، الروماني، http://www.elguran.net.

ويتجلى البعد الحجاجي للاستعارة في قوله: "**وأخذ ...**"، فقد اختار الله سبحانه وتعالى هذا التركيب المجازي للاستعارة، لأنه أبلغ من الحقيقة، فهو يجسد فعل الإماتة والتعذيب.

أخذ ≠ أمات، ولكنها تؤدي معناه في مقام مخصوص فتجعلها أكثر تأثيرا على النفوس.

4.3. الكناية:

الكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كالدعوى ببينة ... كيف لا وأنها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احتراما للمخاطب أو للإيهام السامعين أو للنيل من خصمه دون أن يدع له سبيلا عليه، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية. [1]ومن بين الكناياتالحجاجية التي وردت في سورةهود.

قوله تعالى: «**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ** ». (84/11).

ويتجلى البعد الحجاجي للكناية في قوله تعالى على لسان نبيه شعيب – عليه السلام– ، حينما خاطب قومه الذين اشتهروا بتطفيف الكيل والميزان فقال: «إني أراكم بخير »، «أي "**إني أراكم في سعة من الرزق، وكثرة من النعم**» [2]، فلماذا تنقصون الكيل

1– ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د/ط، 1999م، ص 290.

2– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 11.

والوزن؟!"، وهذا في محاولة منه لإقناعهم بالتوقف عن هذا العمل الشنيع خوفا عليهم من عذاب الله سبحانه وتعالى، ويمكن الترميز لهذه الكناية كالآتي:

الحجة ← النتيجة

(إني أراكم بخير) (لا تنقصوا المكيال والميزان)

5.3- المجاز المرسل:

تتجلى حجاجيته في تنوع علاقاته وتجاوزها لعلاقة المشابهة التي نجدها طاغية على أصناف بيانية كثيرة، ولعل المجاز المرسل لا يكتسي طابعه الحجاجي إلا من خلال تفعيله لهذه الخاصية (**علاقاته المرسلة**)، وما على المحاجج بعد ذلك سوى اختيار التركيب ليحسن التأليف بغية إنشاء علاقة تشير المتلقي لإقناعه.

ومن بين أكثر الآيات في سورة هود تجسيدا لهذه الخاصية قوله تعالى:
«**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**» (52/11).

فتصوير السماء المرسلة على رؤوس المستغفرين لم يتأت إلا بما خلفه عليه الإسناد المجازي من روعة وبيان لأن السماء ليست في حقيقة الأمر، إلا سببا للمطر، فأطلق السبب وأريد به المسبب على سبيل المجاز المرسل، إذ من شأن التركيب الجيد الملائم للمعنى استمالة المتلقي ومساعدة الحجة على الفعل فيه.

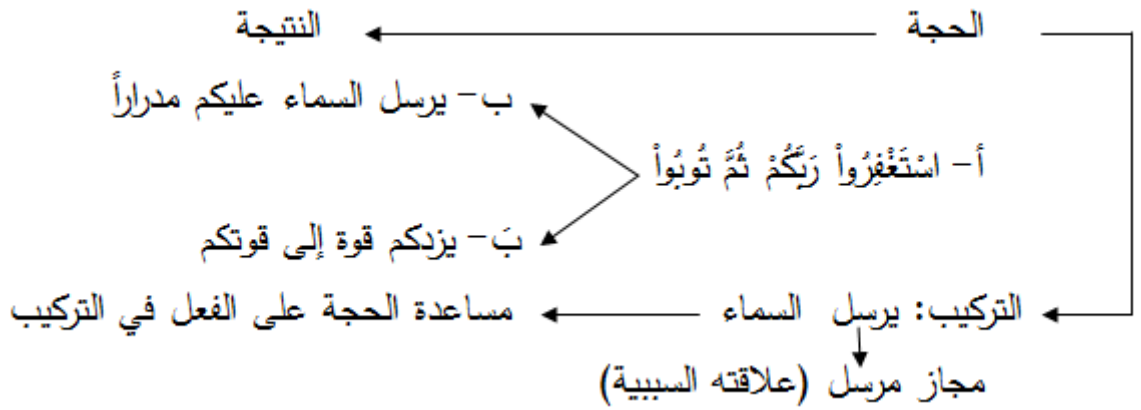

وقوله أيضا « **وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**»(59/11).

والمراد به عصوا رسولهم هودا وفيه تقطيع لحالهم وبيان أن عصيانهم له عصيان لجميع الرسل السابقين، واللاحقين وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الكل، وإرادة البعض باعتبار وحدة الرسالة وفي هذا التفات لمشركي مكة وتخويف لهم بتكذيبهم رسولهم، محمدا – صلى الله عليه وسلم –، وبلاغة هذا الترهيب وحجاجيته تدفعنا إلى التساؤل عن المصدر؟ الذي سرعان ما نجزم بأنه وليد العلاقة غير المقيدة بين لفظي الرسول والرسل.

إن المجاز المرسل الصادم للمتلقي المكذب حين يضعه في مقابل جميع الرسل لا رسول واحد.

التعبير الحقيقي: عاد قوم هود ≠ كذبوا هودا

التعبير المجازي: عاد قوم هود ≠ كذبوا جميع الرسل

وهنا يظهر البعد الحجاجي للمجاز المرسل من حيث تنوع علاقاته من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء.

6.3.المجاز العقلي:

ويعد إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، مع قرينة صانعه من إرادة الإسناد الحقيقي".[1] والمظهر الذي يتجلى فيه الحجاج بالمجاز العقلي هو المتكلم ومهارته في تخيير المعنى الأصلي، والمعنى المجازي والعلاقة المجازية التي تعد بؤرة الحجاج، لأن الإقناع يحدث عادة بعد التأثر بروعة المعنى في التركيب، وغرابته وعدوله عن المألوف، والخطاب القرآني في هذا ليس بدعا من الخطاب، بل ما أكثر الأساليب القرآنية التي تعزز هذه الفكرة، وتثبتها من ذلك قوله تعالى في سورة هود:

« **وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**».(03/11).

ففي إسناد العذاب إلى اليوم بدل الزمان فضل بيان لا يؤديه التركيب الحقيقي، قال الصابوني معقبا على هذه الآية: « **أسند العذاب إلى اليوم وهو يوم القيامة لأن هذا اليوم هو زمان العذاب، وأصل التركيب الحقيقي، يوم كبير هو له وعذابه**».[2]

وعموما لا مفر للحجاج من البيان في كل أنواعه لما له من مقدرة إقناعيةولذلك وضع الدراسون شرطين لا يقوم الحجاج إلا بهما وهما:

* مهارة المحجاج في استعمال أنواع البيان استعمالا حجاجيا.

* تخير العلاقة بين المجاز والمعاني التي يوضع لها، حتى تمنحه قوة حجاجية تساعد على الإقناع.

– يتمظهر هذان الشرطان في الشكل الحجاجي للخطاب خاصة إذا روعي فيه التدرج كما في الآية السابقة.

1– حميد آدم ثويني، البلاغة العربية، ص 170.

2–

- استغفروا ربكم ← توبوا إليه ⇐ يمتعكم ويؤت كل ذي فضل فضله

- الامتناع عن تحقيق الشرط ⇐ عذاب يوم كبير

إن توظيف المجاز العقلي في هذه الآية، حقق ما سلف الشروط والتي منها التدرج في المحاقة.

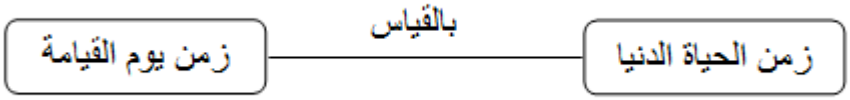

المقارنة بين الزمنيين يؤدي إلى نتيجة وهي تفضيل الزمن الثاني لأنه أطول، وكل هذا إنما تحقق بإسناد العذاب إلى اليوم لا إلى ما فيه.

7.3. البديع:

يستعمل المرسل أشكالا لغوية تصنف بأنها أشكال تنتهي إلى المستوى البديعي، وأن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية، وهذا الرأي ليس صحيحا، إذ أن لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع، والبلوغ مبلغه إلا بعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك.[1]

إن المحسنات البديعية – إذن – يمكن لها أن تؤدي وظيفة حجاجية وفي هذا الشأن يقول صابر الحباشة: « **إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدوا معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من**

1– عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 498.

ذلك فإذا لمينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره على أداء دور الإقناع».[1]

إذن هناك نوعان من المحسنات، محسنات تزيينية زخرفية متعلقة بالأسلوب، وهناك محسنات حجاجية متعلقة بالإقناع، ومن بين المحسنات البديعية التي سندرسها ونبين حجاجيتها ودورها في الإقناع من خلال السورة هي كالآتي **1.3.7.الطباق:**

يعرف الطباق على « **أنه الجمع بين متضادين أو معنيين متقابلين في الملفوظات والمطابقة في الكلام هي: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة ... مثل الجمع بين السواد والبياض، الليل والنهار، الحر والبرد، ....»**[2]

فالطباق أو المطابقة يقوم على إيجاد علاقة ظاهرة أو خفية بين معنيين متضادين في جملة واحدة، وفي هذه العلاقة تكمن القوة الحجاجية للطباق، حيث يدعم المعنى بقوة الوضوح، ويجعل الدلالة واضحة مقنعة، ومن بين ما جاء في سورة هود ما يلي:

قال تعالى: «**أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**» (02/11)، «**أي إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه، وبشير بالثواب إن أطعمتموه** »، فحجاجية هذا الطباق تتجلى في إثبات قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة السماوية التي أمره الله بها فهو "نذير" لمن تجرأ على المعاصي بعقاب الدنيا والآخرة و"بشير" للمطيعين لله بثواب الدنيا والآخرة، وهذا التقابل بين المعنيين يحسن وينمق وقوع المعنى في ذهن القارئ موقعا يجعله يقتنع.

1- صابر الحباشة : التداولية والحجاج، ص 51.

2- الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت ط/1، 1997م، مج1، ص 392.

وقوله تعالى« **أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**» (05/11).

لقد جمع الطباق في هذه الآية بين المعنيين المتضادين، ما يسرون ≠ ما يعلنون، وفي هذا الطباق قيمة حجاجية تخدم نتيجة واحدة جاءت بعده، وهي: « **عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** » أي «**أن الله سبحانه وتعالى يعلم سرائركم وظواهركم لا تخفى عليه خافية من أحوالكم**»[1] فهو يعلم الجهر وما يخفى.

ومما سبق نستخلص أن للطباق أهمية كبيرة في عملية الإقناع والتأثير فهو من المحسنات البديعية المعنوية التي تساهم في توضيح المعنى، وتزيده قوة وجلاء، فالأشياء بضدها تتضح.

2.7.3. المقابلة:

المقابلة أسلوب شائع في القرآن الكريم، فالقرآن يكثر في نظمه من استخدامها، ويجعلها وسيلة للتأثير في النفوس، وأداة فنية للبيان، وبما أن المقابلة تعتمد على الإتيان بما يقابلها، فذلك يسهم حتما في توضيح المعنى، وهذا التوضيح يساعد على التمييز بين الأشياء ومنه الإقناع في ثوب جمال المقابلة.[2]

ومن بين الأمثلة التي وردت عن المقابلة في سورة هود قوله تعالى: « **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**»(24/11).

ويبرز التقابل في هذه الآية بين فريق الكافرين (**الأعمى والأصم**) وفريق المؤمنين (**السميع والبصير**)، وهذا التقابل بين المعنيين في الآية الكريمة يؤكد ويثبت حجة واحدة

1- ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 299.

2- ينظر: عباس حشاني : خطاب الحجاج والتداولية، ص 299.

تظهر في قوله تعالى: " **هل يستويان**"، أي«**لا يستويان فليس حال من يبصر نور الحق ويستضيء بضيائه كحال من يتخبط في ظلمات الضلالة ولا يهتدي إلى سبيل السعادة**».[1]

3.7.3 الجناس:

فالجناس من الحلى اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والمتابعة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، ومنه تبرز حجاجية الجناس فيكون بمثابة المؤثر المستميل لنفسية المتلقي.

وقد ورد الجناس في سورة هود في عدة مواضع منها عن قوله تعالى: « **وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**» (03/11).

لقد وقع الجناس في هذه الآية بين لفظة (**فضل و فضله**) فالمعنى الأول يعني به العمل والثاني الثواب،[2] أي من يعمل خيرا يثاب على عمله ، وإيراد الكلام على هذا النغم والموسيقى يؤثر في نفسية المتلقي ويدفعه إلى الاقتناع بفعل الخير حتى ينال الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

وقوله أيضا: «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (44/11).

وقد ورد الجناس في هذه الآية بين لفظة (**إبلعي و إقلعي**) وهو جناس غير تام لاختلاف ترتيب الحروف فيه، وقد صاحب هذا الجرس الموسيقي فعل الأمر، ومن شأن هذا تطبيق الطلب وهو القصد من استعمال أفعال الأمر بجرس حتى تحدث في نفس

1- محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير، مج2، ص 11.

2- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1988، مج4، ص 17.

المتلقي ميلا إلى الإصغاء والمتابعة، وهذا يؤدي به إلى الإقتناع بقدرة الله سبحانه وتعالى على تسيير الأمور، فهو الآمر والناهي الذي لا يعصى له أمر.

4. الآليات شبه المنطقية:

1.4. السلم الحجاجي:

يقوم السلم الحجاجي على ترتيب الحجج عموديا من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، في فئة حجاجية واحدة، وأن كل قول كان في السلم الحجاجي دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى منه.

ومن صور هذا التعاضد الحجاجي ما ورد في قوله تعالى: «الا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون غنه عليم بذات الصدور» (05/11).

فقد حاجج الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة المشركين على لسان رسوله الكريم، فكيف تخفى عليهم حالهم، "إذ ثنوا صدورهم ليستخفوا منه"، "أي يعلم تعالى ما يبطنون وما يظهرون، وكأن الآية تقول: لا تضنوا ان تغطيتكم تحجبكم عن الله، بل الله يعلم سرائركم وظواهركم لا تخفى عليه خافية من احوالكم فهو عليم بما في القلوب".[1]

ويمكن إظهار ذلك في السلم الحجاجي الآتي:

1. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص7.

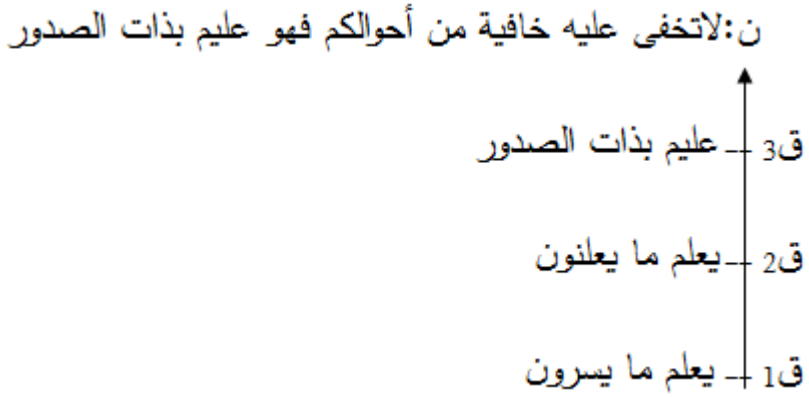

نستنتج من خلال هذا السلم الحجاجي تلازما بين قول الحجة ونتيجتها "ومعنى هذا التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية"[1].

ثم إن موقع الحجج على السلم أظهر مبدأ التدرج في توجيه الحجج (ق 1، ق2، ق3) فهي كلما تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل قدرة الله سبحانه وتعالى على العلم بالجهر وما يخفى، وأقوى دليل على ذلك القول الذي ورد في أعلى درجات السلم الحجاجي "عليم بذات الصدور"، أي لا تخفى عليه خافية من احوالكم مهما تغطيتم أو تحجبتم عنه.

كما ورد أيضا في قوله تعالى:

«أم يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين».

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يتحدى الكفار والمشركين، عندما اتهموا النبي – صلى الله عليه وسلم – بانه « **اختلق هذا القرآن وافتراه من عند نفسه** »[2]، فإن يأتوا بعشر سور مثله في الفصاحة والبلاغة باعتبارهم عربا فصحاء، وأن يستعينوا بمن

1. شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، د/ط، ص 363.

2. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص 90.

شاءوا من غير الله سبحانه وتعالى إن كانوا صادقين، أي « **فإن لم يستجب لكم من دعوتموهم للمعاونة وعجزوا عن ذلك فاعلموا أيها المشركون إنما انزل هذا القرآن بوحي من الله**».[1]

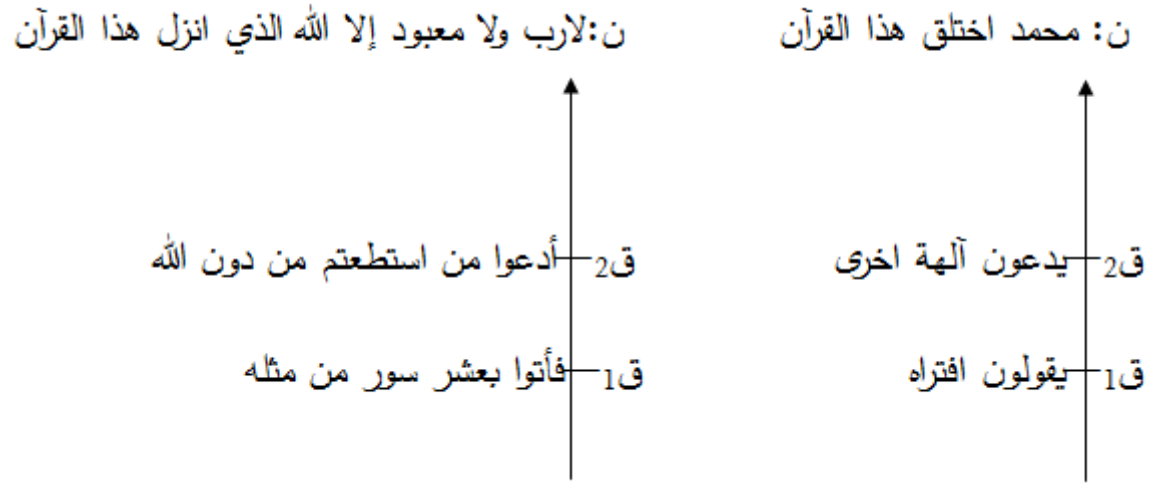

يرتبط هذا السلم الحجاجي بقانون القلب عند **"ديكرو"**، ومفاده أنه إذا كان (ق1) "فأتوا بعشر سور مثله" أقوى من (ق 1َ) "**يقولون افتراه**" في الدلالة على النتيجة، " **لا رب ولا معبود إلا الله الذي أنزل هذا القرآن المعجز**" فإن نفي (قَ1) و(قَ2) سيكون أقوى من نفي (ق1) و (ق2).

1.1.4الأدوات اللغوية للسلم الحجاجي:

1. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والمقصود بالأدوات اللغوية تلك الأدوات التي تساعد على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج، أي أنها تعين المتكلم على تقديم حججه في صورة تناسب المقام أو السياق الذي هو فيه وتصله إلى غرضه من طرح الخطاب على ذلك المتلقي.[1]

هذه الأدوات مهمة في أي خطاب، وتزيد اهميتها بشكل كبير في الخطاب الحجاجي، لما تؤديه من دور فعال وبخاصة في إكساب النص طاقة وقدرة حجاجية، بما توفره من علاقات بين المقدمات والنتائج، ومن بينها:

1.1.1.4الروابط الحجاجية:

إذا كانت للغة وظيفة حجاجية فقد إشتملت على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية.[2]

والروابط الحجاجية هي المؤشر الاساسي والبارز، وهي الدليل على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها، وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى حيث يمكن أن نذكر منها ما يلي: (بل، لكن، إذن، لا سيما، حتى، لأن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي، ...)

وتكمن قيمتها الحجاجية في أنها تضطلع بدورين: الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها، بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب [3]. أي حسب قوة وضعف الحجج المعروضة في الخطاب.

1. ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 477.

2. حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 56.

3. المرجع نفسه، ص 55.

وفيما يلي رصد لهذه الروابط في سورة هود مع دراسة وظيفتها وقيمها الحجاجية:

الرابط بل:

قد ورد في الآية الكريمة في قوله تعالى «فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلى الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فصل بل نظنكم كاذبين» (27/11).

"أي «ما نراك إلا واحدا مثلنا ولا فضل لك علينا، قال الزمخشري: وفيه تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة، وان الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم' وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا، أي ما اتبعك إلا سفلة الناس، قال في التسهيل: وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقادا بأن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كذلك بل المؤمنون أشرف منهم على فقرهم وخمولهم، «وما نرى لكم علينا من فضل» أي وما نرى لك ولأتباعك من مزية وشرف علينا يؤهلكم للنبوة، «بل نظنكم كاذبين» أي بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه"[1]فالمشركين أرادوا أن يحاجوا نوحا من وجهين:

1. أن المتبعين له أراذل القوم ليسوا قدوة ولا أسوة.

2. أنهم مع ذلك يتروووا في أتباعه، ولا امعنوا الفكر في صحة ما جاء به، وإنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة ولا روية، وغرضهم ألا تقوم الحجة عليهم بأن منهم من آمن به وصدقهويمكن الترميز لذلك بالسلم الحجاجي الآتي:

1. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص

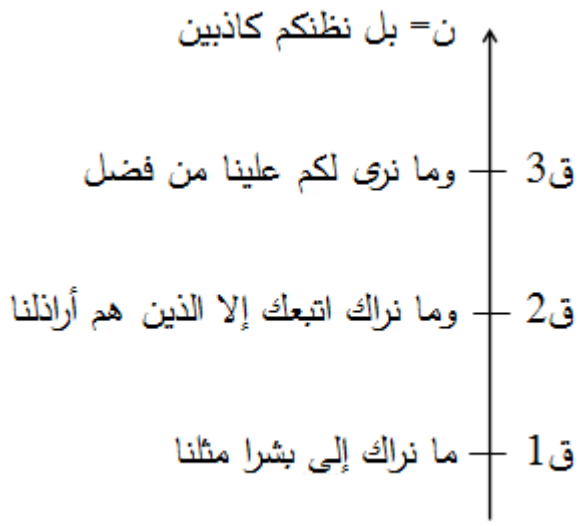

فالرابط **'بل'** هنا حرف إضراب أفاد إبطال دعوة نوح عليه السلام ومن آمن معه، وهو إضراب في الاحتجاج، وفيه أنهم لا يرون معه امرا يوجب اتباعه، بل هنالك أمر يوجب عدم الاتباع، وهو ما تحيل إليه (ق1، ق2، ق3)

الرابط لكن:

يمثل الرابط **'لكن'** في القول الحجاجي علاقة القوة الحجاجية من جهة، ومن جهة أخرى تعارضا حجاجيا، وعلاقة القوة الحجاجية تفترض أنه إذا كانت هناك حجة (ب) تنتمي إلى فئة حجاجية محددة بنتيجة (ن)، فإن هناك حجة (ج) تنتمي إلى فئة حجاجية محددة بنتيجة.[1] ويبرز هذا الرابط الحجاجي في قوله تعالى :«**ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم لكني أراكم قوما تجهلون**» (11/27، 28).

فالحجة المتضمنة في الجزء الأول من الآية، في قوله "**يا قوم لا أسألكم عليه مالا**" موجهة لصالح نتيجة هي "**إن أجري إلا على الله**" **أي ما اطلب ثوابي إلا من الله فإنه هو الذي**

1. عبد الزهرة إسماعيل آل سالم، حجاجية القصص القرآني، قصة نوح (ع) نموذجا، مجلة الأداب، العدد 107، ص 81.

يثيبني ويجازيني[1]، والحجة المتضمنة في الجزء الثاني من الآية والتي تظهر في قوله "**وما أن بطارد الذين آمنوا** " موجهة لصالح نتيجة تتمثل في " **أنهم صائرون غلى ربهم وفائزون بقربه فكيف أطردهم** "[2]، ثم يندرج القسم الثالث من الآية بعد الرابط الحجاجي "لكن" في قوله تعالى "**أراكم قوما تجهلون**" متضمنا لحجة تخدم النتيجة المضادة "أي أنكم قوم تجهلون قدرهم فتطلبون طردهم وتظنون أنكم ..."[3]

ويمكن الترميز لهذه العلاقة الحجاجية بالشكل الآتي:

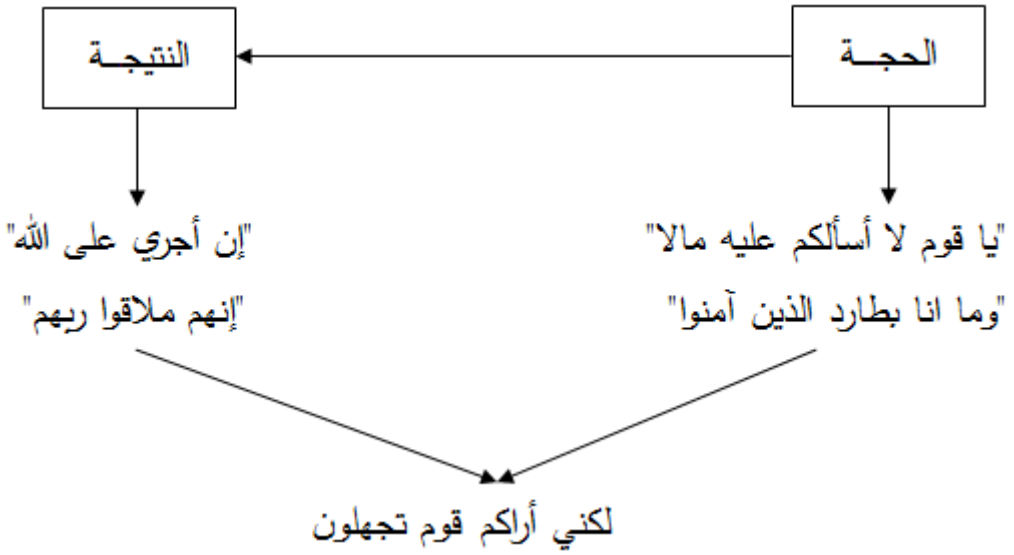

الرابط الحجاجي (الواو):

يعد "**الواو**" من اهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة او المتساندة ويشمل " **الواو**" حجاجيا وذلك بترتيب الحجج، ووصل بعضها

1. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، ص 13.

2. المرجع نفسه، الصفحة نفسها

3. المرجع نفسه، الصفحة نفسها

ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي.[1]

والأمثلة الواردة في سورة هود كثيرة واقتصرنا على بعض منها:

قوله تعالى «**ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا، الله أعلم بما في انفسكم إني إذا لمن الظالمين**»

فالرابط الحجاجي "**الواو**"، هنا قام بالوصل بين الحجة والأخرى، كما قام بترتيب هذه الحجج لتقوية وتدعيم النتيجة، فالحجج جاءت متسقة مترابطة غير منفصلة، كل حجة تساند وتقوي الحجة الأخرى، وذلك بفضل الرابط الحجاجي "**الواو**" وهذه الحجج في الآية هي: «**لا أقول لكم عندي المال الوافر الكثير حتى تتبعوني لغناي، ولا أقول لكم إنى أعلم الغيب حتى تظنا بي الربوبية ولا أقول لكم إني من الملائكة أرسلت إليكم فأكون كاذبا في دعواي**، ولا أقول لهؤلاء الضعفاء الذين آمنوا بي واحتقرتموهم لفقرهم لن يمنحهم الله الهداية والتوفيق، أي الله أعلم بسرائرهم»[2]

ويمكن الترميز لهذه الحجج في السلم الحجاجي الآتي:

1. عبد الهدي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، 472.

2. محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير، مج2، ص 14.

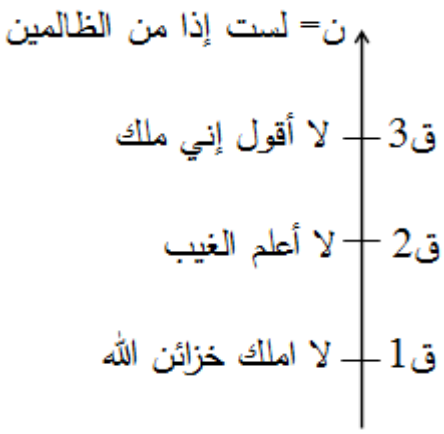

فالحجج (ق1، ق2، ق3)، تتساند وتتظافر في اتجاه حجاجي واحد، لتحقق نتيجة (ن) تتمثل في قوله: « **إني إذا لمن الظالمين** »، أي إني إن قلت ذلك أكون ظالما مستحقا للعقاب.

2.1.1.4التوكيد:

لم يكن أسلوب التوكيد في كلام العرب لونا من ألوان الزينة، أو شكلا من أشكال الحشو الذي يرهق النص بما لا فائدة منه ولا جدوى، وإنما هو ركن من اركان البناء اللغوي والبياني الذي زخرت به النصوص العربية، ويستعمل بترتيب درجاته لغويا عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاث درجات من التوكيد، طبقا لثلاث سياقات كما سبق وذكرناها وهي كالآتي:

1. **الخبر الابتدائي**: إذ لا يستعمل المرسل في الخبر الابتدائي أي نوع من انواع التوكيد، لأن المرسل إليه خالي الذهن من أي حكم سابقن ويظهر في قوله تعالى «**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام** » (11/7)، ففي هذه الآية خبر ابتدائي اكتفي في حجاجه بأول درجات سوق الخبر دون تأكيد لأن فحواه بمثابة المسلمات التي يتفق عليها جميع الناس، فمهما بلغ بالجاحدين جحدهم ما كان لهم أن يدعوا خلقهم السموات والأرض، ولذلك لم يحتج الخبر لما يؤكد حكمه.

2. **الخبر الطلبي**: اما الخبر الطلبي فيلقي الخبر إلى المرسل إليه مؤكدا بأداة واحدة... ويظهر في قوله تعالى " **ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير** " (11/2). إن كفار مكة كانوا يطعنون في نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – فرد عليهم في قوله: «إنني لكم منه نذير وبشير" وهو بذلك يؤكد صدق نبوته ودعوته "مرسل من جهة الله تعالى، ينذرهم بعذابه إن كفروا، ويبشرهم بثوابه إن آمنوا".

وتبرز في آية أخرى القيمة الحجاجية للخبر الطلبي المشفع بأداة التوكيد في محاولة تحفيز المخاطب إلى المبادرة في إنجاز ما وعد، وهي قوله تعلى في حوار شائق بينه وبين نبيه نوح – عليه السلام – قال الله تعالى "ونادى نوح ربه فقال ربي إن ابني من أهلي وغن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (45) قال يا نوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك ان تكون من الجاهلين" (11/ 45، 46).

فقد وصف الله رغبة نوح الملحة وشفقته على ابنه وهو يراه يتفلت من بين جموع المؤمنين، والأمواج تتقاذفه فلما أيقن أنه لا عاصم له إلا الله، توجه إليه يدعوه ويتضرع له يظفر بسؤله "رب غن ابني من اهلي وقد وعدتني بنجاتهم وإن وعدك الحق، أي لا خلف فيه". يظهر جليا في هذا المقطع اعتماد نوح على ما في الخبر الطلبي من طاقة حجاجية، تساعد على التحفيز والمبادرة إلى تحصيل الإقناع، ولذلك استعمل خبرين طلبيين متواليين هما: "إن ابني من اهلي"، "إن وعدك الحق" – وقد رد عليه الله بمثلهما: "إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح"

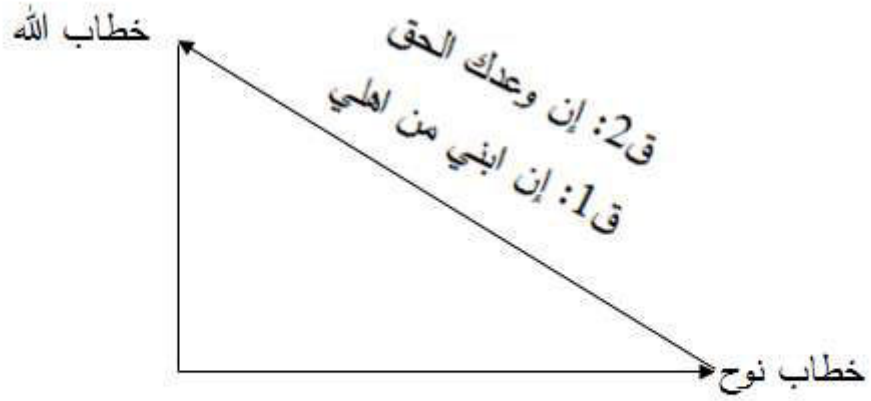

ق1: إنه ليس من أهلك

ق2: إنه عمل غير صالح

وقد نتج عن هذا التماثل الخطابي من حيث درجات سوق الخبر تساو في حجية الخطابين لولا درجة المخاطب (الله) التي مكنت لإقناع نوح.

"أنت احكم الحاكمين" ←——— "فلا تسالني ما ليس لك به علم"

(تفويض) (حكم)

3. الخبر الإنكاري:

وهو اعلى درجات توكيد الخطاب، يوظف فيه المخاطب عادة حشدا من المؤكدات، مراعاة لحال المخاطب (المنكر، الجاحد)ن ويبرز في قوله تعالى: "إن إبراهيم لحليم أواه منيب" (75/11).

فقد وصف الله بأنه "غير عجول في الانتقام من المسيء إليه، وهو كثير التأوه والتأسف على الناس لرقة قلبه، منيب رجاع إلى طاعة الله"[1].

1. محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير، مج2، ص26.

وفي هذا الخطاب يثبت الله لإبراهيم صفات اثباتا مؤكدا بت (إن واللام)، دفعا لما قد يتوهمه المخاطب من صفات تناقضها، بعد مراجعة إبراهيم ربه في ابن اخيه لوط. وهذا الضرب من الخبر قد يبادر به المخاطب إذا علم ان المخاطب قد ينكر الخبر أو يجحده.

آليات السلم الحجاجي:

وهي بعض الأدوات ذات المعاني التي تدخل في ترتيب الحجج في سياق الإقناع، ومن بين ما عرض لنا في سورة هود.

التعدية:

وتتجلى من خلال عقد علاقة بين مجموعة أشياء على اعتبار التعدي، على الرغم من انتقاء هذه العلاقة قبل التلفظ بالخطاب مثل قوله تعالى: "وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد" (59/11).

فمجموع العلاقات القائمة في هذه الآية مرتكزة على مستويين:

مستوى التلفظ ← عاد جحدوا بآيات ربهم (لما عصوا رسولهم)

مستوى التعدي ← عصوا رسله لأنهم عصوا رسوله

وما هو في النهاية إلا رسول مثل بقية الرسل، فالعلاقة المتحكمة في اطلاق وصف العصيان على 'عاد' لكل الرسل يدل اطلاقه حقيقة، على تكذيبهم هودا وهي علاقة التعدية التي يمكن اختزالها فيما يلي:

عاد عصوا هود ←——— هود رسول الله ←——— عاد عصوا كل رسله

أفعال التفضيل:

وهي إحدى الآليات الحجاجية التي يستخدمها المخاطب للإقناع "ويفيد أن شيئين اشتركا في معنى واحد، وزاد أحدهما على الآخر فيه".

ومن ذلك قوله تعالى: "قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ..." (92/11).

فقد توسط اللفظ "أعز" في الآية ليدل على اشتراك شيئين (رهط شعيب) و (الله) في معنى واحد وهو (العزة) إلا أن قومه زاد لأحدهما على الآخر فخاطبهم منكرا عليهم تسوية قومه الأدميين بالله، ويظهر إنكاره لهذه المفاضلة، محاولته إقناعهم بأنها لا تستند إلى أي منطق او دليل، يقر به العقل السليم.

القياس الضمني :

وتكمن حجاجيته في النتيجة المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الحجاجي، ومن ذلك قو له تعالى : «**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**» (45.11)

وعليه فالنتيجة الحجاجية المضمرة في هذه الآية هي، أن كل من يعصي الله يكون مصيره الهلاك والعقاب في الدنيا و الآخرة ، مهما بلغت منزلته ومكانته بين الناس، فعلى الرغم من أن نوح – عليه السلام – نبي الله إلا أن ذلك لم يخوله من أن ينقض ابنه من غضب الله و عقابه فكان من المغرقين.

صيغ المبالغة:

تشترك صيغ المبالغة مع غيرها من الأوصاف المشتقة في طبيعتها الحجاجية إلا انها تفضلها بحكم تكوينها اللغوي ومهارتها التداولية، فهي تفضل اسم الفاعل مثلا بما تدل عليه من تكرار الفعل أو الاتصاف بع اتصافا غير عارض، ولذلك قيل في حدها إنها "تفيد من الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي ما لا تفيده إفادة صريحة صيغة فاعل"[1].

ومن صيغ المبالغة في سورة هود قوله تعالى: «قالوا يا شعيب أصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في اموالنا ما نشاء غنك لأنت الحليم الرشيد» (87/11) فقد وردت صيغة المبالغة "**الحليم الرشيد**" في معرض سخرية قوم شعيب مما كان يأمرهم به وقد شكلتا نتيجة انبنت على مقدمة جاءت على صيغة الاستفهام "أصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا..." الذي خرج إلى التهكم.

إن المتأمل لموضع صيغتي المبالغة يدرك جيدا دورهما الحجاجي الذي تلخص أساسا في تثبيت الغرض السابق، وقد وسموه تهكما بالحلم والرشد، إمعانا في الادعاء بقلة حظه منهما.

حجة الدليل:

تعتمد هذه الألية على الحجج الجاهزة أو الشواهد فهي من دعامات الحجج القوية ،حين يضعها المخاطب في الموضع المناسب ، وهنا تتبدى أهليته و براعته في توظيفها بحسب يتطلبه السياق ، ومن ذلك استعمال الأمثال والحكم ، فمن وظيفة المثل أنه «يعقد الصلة بين السياق المشاهد والسياق الغائب، فيستحضر بهذا مصداقية الحجة التي يدخلها في خطابه»[2]

1. عباس حسن : النحو الوافي، ج3، ص 257.

-2

فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار، ومن الأمثال التي ضربها الله سبحانه وتعالى لعباده ليدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم ، قوله تعالى

«وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ» (89.11)

ينبثق من هذا المثل إنذار يشير إلى سوء المنقلب وتعاسة المرجع لكل من يعصى الله ويكفر به ، فأين هي الأمم التي كفرت وتولت وأعرضت من قبلكم...، ذهبت ريحها ونكصت على عقبها وحلت بها النقمة محل النعمة،أي« لا يحملنكم معاداتي على ترك الإيمان فيصيبكم ما أصاب الكفار،وما ديار الظالمين من قوم لوط بمكان بعيد أفلا تتعظون وتعتبرون»[1]

كل هذه المشاهد عرضها علينا ذلك المثل الإلهي ليحاجج بها شعيب قومه الذين كفروا وظلوا طريق الحق ،ليكون لهم تذكرة وتبصرة وموعظة تردهم عن سوء السبيل.وبهذا يتضح أن من «**خصائص المثل أن له طابعا إقناعيا برهانيا لأنه يساق للإقناع، ويرد حجة ودليلا على صدق مساقه، وصحة دعواه**»[2]

1-

2-

الخاتمة:

شكلت المزاوجة بين المنهج الحجاجي والنص القرآني مغامرة بحثية، أقضت الكثير من النتائج التي تستحق التنوية منهما:

1- مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس، ويعود ذلك إلى تعدد استعمالاته، وأشكال توظيفه وتتباين مرجعياته.

2- إن المعاجم اللغوية الأساسية في تعريفها للحجاج، تجمع على أنه مرادف للجدل، فالجدل هو المظهر الذي يجسد صورة المفهوم الحجاجي.

3- شهد الدرس الحجاجي إزدهارا في الفترة اليونانية (سفسطائين، أرسطو ...)، فنشأة الحجاج كانت مع أعلام الفكر اليوناني القديم.

4- كما بين البحث أن الحجاج ركن من أركان البلاغة العربية، وتعتبر البلاغة العربية الحقل الذي نشأ فيه الحجاج، وما أتى به الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، والسكاكي في كتابه مفتاح العلوم من بحوث ومصطلحات حجاجية يكشف عن أصالة هذا البحث في البلاغة العربية، بهذا يكون التأسيس لبلاغة حجاج

عربي خالص، يخلص هذه البلاغة العربية من التبعية للمنطق الأرسطي.

5- رصد البحث أهم الاتجاهات الغربية والعربية التي ساهمت في وضع نظرية حديثة للحجاج أولها عند الغرب، وتمثلت في "البلاغة أو الخطوبة الجديدة"، تبيرلمان "وتيتكاه"، إذ حاولا إضفاء بعد عقلي على الحجاج، فهو عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتحاورة، وفي جو من الحرية والمعقولية بعيدا عن الاعتباطية واللامعقولية في الخطابة.

6- ونظرية الحجاج في اللغة "لديركو"، فالحجاج عنده قائم في جوهر اللغة نفسها، بصرف النظر عن استخدامها فكل قول مهما كانت الغاية منه والدافع إليه هو قول حجاجي.

7- وتعلق الحجاج عند "ميشال مايير" بنظرية المساءلة فاشتغل الحجاج باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف يحمل المتلقي على اتخاذه إزاء مشكل معروض في سياق تخاطبي.

8- انفتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي الكبير على النظريات والمناهج

الغربية، سمح لهم بإثراء الدرس الحجاجي العربي المعاصر (الفلسفي، البلاغي واللساني) بوعي علمي دقيق واهتمام بمبحث الحجاج، والكشف عما يحويه التراث العربي الإسلامي من ملامح النظرية الحجاجيةن ومن هؤلاء الباحثين (طه عبد الرحمان، محمد العمري، أبو بكر العزاوي، ...).

9- يتميز الخطاب الحجاجي بمجموعة من الخصائص والضوابط التي تميزه عن غيره من الخطابات الأخرى.

10- تتعدد أشكال الحجاج حسب طبيعة الحوار، وبناء الحجاج كما تعددت وجهات نظر الباحثين، وآرائهم في تحديد أنواع الحجاج.

11- يبني الخطاب الحجاجي على مجموعة من الآليات البلاغية واللغوية وشبه منطقية، وكلما تتطافر فيما بينها لتحقق التأثير والإقناع، الذي هو غاية وهدف كل خطاب حجاجي.

12- اشتملت سورة هود على وسائل عدة من صور الإقناع والتأثير فجاءت قصص الأنبياء فيها كوسيلة للتمثيل بقصد الإقناع في المتلقي

(قصة سيدنا نوح، قصة سيدنا هود، قصة سيدنا صالح، قصة سيدنا شعيب، قصة سيدنا لوط) كما اشتملت على صور من حجاج الأنبياء مع أقوامهم.

ومن خلال تحليل بعض الشواهد والنماذج من السورة وتطبيق تقنيات الحجاج وأدواته على أمثلة منها، توصلت إلى النتائج الآتية:

* ستلعب الأدوات اللغوية دورا هاما في عملية الحجاج، إذ تساعد على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج، أي أنها تعين المتكلم على تقديم حججه في صورة تناسب المقام، أو السياق الذي هو فيه وتصله إلى عرضه.

* تمثل الآليات البلاغية دورا مهما في عملية الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير بالصور البيانية، والأساليب الجمالية، أي إقناع المتلقي عن طرق استمالة تفكيره ومشاعره.

* من الآليات شبه منطقية، الروابط الحجاجية إذ تساهم إما في تساوق الحجج وتعاونها لتحقيق نتيجة واحدة، وإما في تعارض

الحجج لكي تحقق كل منها نتيجة معاكسة يراد الوصول إليها.

وعليه فالحجاج الإقناعي هو إطلاق العنان لنشاط غايته الإقناع والتأثير في أفكار وآراء ومواقف وسلوكات الفرد والجماعة، وهذا ما يجعل منه إستراتيجية تواصلية بامتياز.

ملخص البحث:

إن الدراسات الحجاجية خلال العقود الأخيرة أضحت حقلا مستقلا، استقطب تخصصات مختلفة من الأدب والفلسفة واللسانيات والمنطق، ومع هذا الانفتاح الواسع لمجال الحجاج، جاءت دراستنا تثمينا لما سبقها من الدراسات الحجاجية عامة، والقرآن الكريم خاصة، باعتباره جنسا خطابيا يختلف عن بقية الخطابات الأخرى بناء ومقاما، خاصة في جانبه الاقناعي والحجاجي، حتى نستبين صحة منطقه وعمق بلاغته، فوقع اختيارنا على سورة هود عليه السلام، لما اشتملت عليه هذه السورة من آليات حجاجية متنوعة بين ما هو بلاغي (استعارة، كناية، تشبيه) وبين ما هو لغوي ومنطقي (روابط وعوامل حجاجية، ألفاظ التعليل ...)، وهذه الآليات هي التي تكسب النص درجة عالية من الإقناع والتأثير في الملتقى.

Résumé de recherche:

Les études orbitales au cours des dernières décennies est devenue un champ indépendant, a attiré différentes disciplines de la littérature, la philosophie, la linguistique, la logique, et avec cette large ouverture sur le domaine de pèlerins, notre étude est venu dans l'appréciation de ce qui a précédé les études orbitales générales, en particulier le Saint Coran, que les genres rhétorique différente du reste des autres discours construction et de séjour , en particulier dans sa persuasion et Hajjaji, même aire de santé _n et la profondeur de son éloquence, et il a signé notre sélection sur la paix Hud soit sur lui, ce qui l'a inclus cette sourate d'une variété de mécanismes orbitaux entre ce qui est rhétorique (métaphore, une métaphore, analogie) et ce qui est les linguistiques et logiques (Liens facteurs orbital, mots d'explication ...), et ces mécanismes gagnent moins un haut degré de persuasion et d'influence dans le forum.

Research Summary:

Orbitalstudies over thepast decadeshas become anindependent field, attracted various disciplines ofliterature, philosophy, linguistics, logic, and with thiswide openingonthe fieldof pilgrims, our study camein appreciationofwhat precededthe generalorbitalstudies, especiallythe Holy Quran, therhetoricgenresdifferentfrom the rest ofbuildingand livingspeech, especiallyin itsHajjajipersuasion andevenhealth area_nand depth ofhis eloquenceandhe signedour selectionon theHudpeacebeupon him, which hasincludedthis Surahof a variety oforbitalmechanismsbetween what isrhetoric(metaphor, a metaphor,analogy) and what isthe linguistic andlogical(Linksorbitalfactors, words of explanation...) and these mechanismsmake lesshighdegree of persuasionand influence inthe forum.

قائمة المصادر و المراجع

أ - المصادر :

1 -أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة و تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم ، بيروت لبنان، د/ط، 1980م

2 -بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت ،لبنان، المجلد الرابع، الطبعة الأولى ،1988م.

3 -أبو الحسن إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق جني محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر، د/ط.

4 -أبو عثمان الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين، دار الفكر، د/ط.

5 -عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة.

6 -عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح وتحقيق عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.

7 -أبو العباس المبرد، الكامل، ترجمة أحمد الدالي، الجزء الثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.

8 -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، بيروت، المجلد الثاني، 1990م.

9 -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحري و التنوير، دار سحنون للنشر، تونس، د/ط.

10 - الإمام الحافظ، محمد بن عيسى بن سنن الترمذي، تفسير القرآن، تعليق محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشرو التوزيع، الرياض، المجلد 12، الطبعة الأولى.

11 - أبو هلال العسكري، ترجمة علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م.

12 - أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تعاتم نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

ب -المراجع :

1 -أبي بكر العزاوي ، الخطاب و الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2010م.

2 -أبي بكر العزاوي،الحجاج و اللغة، منتديات سور الأزبكة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،2006م.

3 -جميل عبد الحميد ، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، د/ط.
4 -حافظ إسماعيلي علوي،الحجاج مفهومه ومجالاته،دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث،إربد الأردن، الطبعة الأولى،2010م.
5 -حمادي صمودي، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر و التوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1999م.
6 -حميد آدم أثيوني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2007م.
7 -حمدي بركات، حمدي أبو علي البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل،دار النشر، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1992م.
8 -الحافظ إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت،الطبعة الأولى، المجلد 1 ،1997م.
9 -سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، بنياته أساليبه، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2008م.
10 - صلاح فضل،بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأداب، الكويت، د/ط، 1992م.
11 - صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للطباعة و النشر، سورية، الطبعة الأولى، 2008م.
12 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء،الطبعة الأولى 1998م.
13 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، الرياض، المغرب، الطبعة الثانية،2000م.
14 - عبد الله صولة، الحجاج في القران الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الأداب و الفنون، تونس، منوبة، الطبعة الأولى،2001م.
15 - عباس حشاني خطاب الحجاج و التداولية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، الطبعة الأولى، 2014م.
16 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة،الطبعة الأولى، بيروت، 2004م.
17 - عبد السلام عشيرعندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.
18 - علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

19 - عمار الطالبي، ابن باديس حياته آثره، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م.
20 - كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، الطبعة الأولى، 2012م.
21 - قدور عمران، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى،2012م.
22 - أبو الفرج قدامة بن جعفر،نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995م.
23 - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى 2014م.
24 - محمد العمري، البلاغة العربية وأصولها وامتدادتها، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى،1999م.
25 - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، المجلد الثاني، الطبعة الرابعة، 1981م.

ج- المجلات

1 -حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال والحجاجي، ضمن عالم الفكر، العدد1، بونيوز، تشينز، 2001م.
2 -صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، العدد164، أغسطس آب، 1992م.
3 -طه عبد الرحمن، الإستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلة المناظرة، العدد 4، ماي 1991م.
4 -طه عبد الرحمن، مراتب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبد الله، فاس المغرب، العدد9.
5 -محسن بن عامر، البعد الحجاجي في مرزبان نامة لابن عرشاه، الباب الثالث، كلية الأداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد11 ،10، جانفي جوان،2012م.
6 -عز الدين الناجح، المفهوم من خلال الملفوظ الاشهاري في الخطاب، دورة أكادمية، جامعة تيزي وزو، العدد2، مايو، 2007م.
7 -علي كاظم علي، شعرية المجاز في البلاغة العربية، مجلة جذور، المجلد 15، 8 شوال 1424ه، ديسمبر2003م.

8 -عبد الزهرة إسماعيل أل سالم، حجاجية القصص القرآني، قصة نوح عليه السلام نموذجا، مجلة الأداب، العدد 107 .
د- الموقع الالكتروني :